العمل الخيري

في الأديان الثلاثة

الإسلام - المسيحية - اليهودية

ⓒ إبراهيم بن علي بن إبراهيم المحسن، ١٤٤٣هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المحسن، إبراهيم بن علي بن إبراهيم
العمل الخيري في الأديان الثلاثة الإسلام، المسيحية، اليهودية
(دراسة مقارنة)./ إبراهيم بن علي بن إبراهيم المحسن ـ
ط ١ ـ الرياض ١٤٤٣هـ
١٦٨ ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ١-٨٣٦٤-٠٣-٦٠٣-٩٧٨
١ ـ الأعمال الخيرية أ. العنوان
ديوي ٢١٢ ١٤٤٣/٧٧

رقم الإيداع: ١٤٤٣/٧٧
ردمك: ١-٨٣٦٤-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

حُقوق الطَّبع محفُوظَة

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢٢م

شركة دار الحضارة للنشر والتوزيع
ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥
هاتف: ٢٤١٦١٣٩ ــ ٢٤٢٢٥٢٨ فاكس: ٢٧٠٢٧١٩
فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨ تحويلة ١٠٣
الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨
البريد الإلكتروني: daralhadarah@hotmail.com

العمل الخيري

في الأديان الثلاثة

الإسلام - المسيحية - اليهودية

دراسة مقارنة

تأليف

الدكتور إبراهيم بن علي بن إبراهيم المحسن

دار الحضارة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسـلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

العمل الخيري يُعَدُّ جزءًا مهمًّا من منظومة المجتمع المترابط المتماسـك؛ لأنه يحقـق التعاون بين أفـراد هذا المجتمع بشـتى صور التكافـل الاجتماعي؛ سواء كان هذا التكافل من جهة الأغنياء للفقراء؛ كأداء الزكاة وإعطاء الصدقات، أم كان هـذا التكافل من الأغنياء لجهات عامـة؛ أو كان هذا التكافل من صديق لصديقـه؛ كالهبـة، والهديـة، والعطيـة، والوصيـة، أو كان هـذا التكافـل مؤقتًا؛ كالقرض والإعارة.

والعمل الخيري وبذل المعروف فطرة بشرية، وميل إنساني لحب الخير منذ إن وجد الإنسـان على وجه الأرض وحتـى يومنا هذا، ومع التطور الإنسـاني، وتعقـد الحيـاة الاجتماعية، تحولـت هذه الفطـرة إلى التـزام أخلاقي، شـرعته الأديان السماوية، وإلى نظام مهني تحكمه قواعد وأسس ونظريات علمية تقوم عليها هيئـات وأفـراد تخصصوا فـي تقديمها. وهـذا الالتـزام الأخلاقي وتلك الأسـس المهنية؛ أقرتها الحكومات المختلفة كقانون يهتم بحقوق الإنسان عند العوز والحاجة.

أهمية الموضوع:

يحظى العمل الخيري باهتمام بالغ في جميع البلاد؛ حيث شق المجال الخيري طريقًا إلى النجاح في تلك الدول، وأخذ يواكب التطلعات الطموحة لديها، والتي تجاوزت عقدة النمط القديم المستقر لتستجيب للتحولات الحديثة، والمستجدات الناشئة، والوسائل المتغيرة.

وتأتي أهمية هذا البحث من خلال إبراز الدور الفعال للدين في عملية البناء الاجتماعي، ودوره في تماسك المجتمع، وتعاون الشعوب، وما للتعاليم الدينية من دور فعال في عملية الضبط الاقتصادي.

وتأتي أهمية البحث أيضًا من أن الخوض في أمور الدين؛ من خلال البحوث والدراسات الهادفة، من شأنه أن يذلل الصعوبات، ويذهب الاحتقان والضغائن؛ من خلال فهم الأمور كما هي في الواقع، لا كما نتصورها.

ومن أجل الوصول لأعلى مستويات تطبيق العمل الخيري ـ كما يُراد له ـ، كان لزامًا معرفة ما هو عليه في صدر الإسلام أولًا، ومعرفة ما هو عليه في الديانات الأخرى، ثم الوقوف على أفضل التطبيقات في العصر الحديث، وإجراء مقارنة بينهما، واستخراج ما يمكن تطبيقه وتفعيله في العصر الحاضر والمستقبل.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى الأمور الآتية:

١ ـ تحرير مفهوم العمل الخيري، وتوضيح مشروعيته، وضوابطه في الإسلام، وتطبيقاته قديمًا وحديثًا.

٢ ـ الوقوف على طبيعة العمل الخيري عند اليهود والنصارى ونماذجه.

٣ ـ عقد مقارنة بين العمل الخيري في الديانات الثلاث، من خلال النصوص المقدسة، وما يدور في فلكها من الأحكام والتعاليم والمبادئ.

٤ ـ الوقوف على المقارنة وتحليلها واستنباط النتائج الفعلية للعمل الخيري في الديانات الثلاث.

تمهيد

مفهوم العمل الخيري

تعريف العمل:

العمل لغة: هو كل فعل يكون بقصد، قال ابن فارس: «العين، والميم، واللام، أصلٌ واحدٌ صحيحٌ، وهو عامٌ في كلِّ فعلٍ يُفعل»[(١)]؛ ويعمُّ أفعال القلوب والجوارح. وعملتُهُ أعمله عملًا: صنعتُهُ؛ وعملت على الصدقة: سعيت في جمعها[(٢)].

تعريف الخيري:

الخير لغة: ضد الشر، وجمعه «خُيور»، والخَيِّر: الرجل الكثير الخَيْر، وجمعها أخيارُ، وخيارُ، و«الخيراتُ» جمع خَيْرَة، وهي الفاضلة من كل شيء. وخَيَّرَ بين الأشياء: أي فضَّلَ بعضَها على بعض، والشيء على غيره: فضَّله عليه.

و«الخير»: الكرم والجود، والشرف والأصل، والطبيعة والهيئة[(٣)].

---

(١) بن فارس، أبو الحسين أحمد: **معجم مقاييس اللغة** (٤/ ١٤٥)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ـ بيروت.

(٢) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي: **المصباح المنير** (ص١٦٣)، مكتبة لبنان ـ بيروت، ١٩٨٧م.

(٣) ابن منظور، محمد بن كرم: **لسان العرب**، (٣/ ٢٦١).

والنسبة إليه (خيري)، ويقال: «خيار المال» لكرائمه، و«امرأة خيرة» فاضلة في الجمال والخلق[١].

والمال الوفير يقال له: «خير»، روي أن عليًا رضي الله عنه دخل على مولى له، فقال: ألا أوصي يا أمير المؤمنين؟ قال: لا؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠]، وليس لك مال كثير»[٢].

ويطلق الخير على نوعين:

أحدهما: خير مطلق، وهو أن يكون مرغوبًا فيه بكل حال، وعند كل أحد؛ كطلب الجنة.

وثانيهما: خير مقيد، وهو أن يكون خيرًا لواحد وشرًا لآخر؛ كالمال الذي ربما يكون خيرًا لبعض وشرًا لآخرين»[٣].

وإذا نظرنا إلى التعريف الاصطلاحي للخير؛ نجد أنه لم يخرج عن معناه اللغوي؛ من حيث كونه مرغوبًا فيه ومطلوبًا. وبناء عليه يمكن تعريف الخير بأنه: «كل ما كان مرغوبًا فيه ومنتفعًا به».

والعمل الخيري: كمركب اصطلاحي؛ يشير إلى: «عمل، يشترك فيه جماعة من الناس؛ لتحقيق مصلحة عامة، أو أغراض إنسانية، أو دينية، أو صناعية، أو اقتصادية، بوسيلة جمع التبرعات، وصرفها في أوجه الأعمال الخيرية، بقصد نشاط اجتماعي، أو ثقافي، أو إغاثي، بطرق الرعاية، أو المعاونة، ماديًا أو

---

(١) الفيومي، أحمد بن محمد: **المصباح المنير**، (ص٧١).

(٢) الزبيدي، محمد مرتضي: **تاج العروس من جواهر القاموس** (١١/ ٢٣٩)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخها.

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر: **التحرير والتنوير**، (٦/ ٤٣٩)، ط١، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

معنويًا، داخل الدّولة وخارجها، من غير قصد الرّبح لمؤسسيها؛ سواء سمي إغاثة، أو جمعية، أو مؤسّسة، أو هيئة، أو منظمة، خاصة أو عامة»[١].

وفي المصطلح الغربي: إذا نظرنا إلى كلمة «الإحسان» Philanthropia في اللغات الأوروبية، نجد أنها مشتقة من مصدرين في اللاتينية:

الأول: هو كلمة Philein، وتعني: «حب».

والثاني: هو كلمة Anthropon، وتعني: «الإنسان».

ومعنى الكلمتين معًا هو: «حب الإنسان».

وفي قاموس أكسفورد السياسي: تعود كلمة «الخير» Charity الإنجليزية، إلى الكلمة اليونانية Agape، بمعنى: الحب، والعاطفة. وتُفهم ضمنًا بأنها تعبير عن: حب المسيح، والنزعة إلى الخير.

وتأتي أيضًا كلمة «خير» بمعنى: «الطيبة» Kindness؛ أي: أن الخيرية هي صفة لمن يشعر بآلام الآخرين، ويرغب في تحقيق سعادتهم، أو في دفع الأذى عنهم[٢].

إذًا.. فمهوم العمل الخيري يختلف باختلاف تجارب المجتمعات الغربية، وتباين الخلفيات التاريخية والأعراف الخاصة بكل دولة، أو بكل مجموعة من الدول.

---

(١) مهدي، محمد صلاح جواد: **العمل الخيري ـ دراسة تأصيلية تاريخية ـ** (ص١١٢)، مجلة سرّ من رأى، مجلة محكمة متخصصة بالدراسات الإنسانية، كلية الشريعة، جامعة سمراء، المجلد ٨، العدد (٣٠)، السنة الثامنة، تموز ٢٠١٢م.

(٢) انظر: وهبة، مراد: **المعجم الفلسفي ـ** معجم المصطلحات الفلسفية ـ (ص٣٢٠)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة. Mclean, I. & McMillan, A (1996). Oxford concise dictionary of politics. Oxford University Press, p. 61.

وهذا واضح من خلال التعريف السابق؛ ففي انجلترا مثلًا تستخدم مصطلح الإحسان «Charity» كمرادف لمصطلح العمل الخيري «Philanthropy».

بينما الولايات المتحدة الأمريكية تُميِّز بين المفهومين؛ إذ يشير «الإحسان» إلى المنح والعطاء المتوجه لمعالجة نتائج مشكلة أو قضية ما، في حين أن «الخير» يوجه موارده لمعالجة أسباب المشكلة من جذورها، والوقاية منها، وتفادي وقوعها[١].

واليوم تعددت أشكال العمل الخيري وأسماؤه في الغرب؛ فأصبح يطلق عليه مرة «القطاع الثالث»، و«قطاع التنمية»، وكذلك يسمى بـ «العمل الأهلي»، أو «الاجتماعي»، وهو لا يقل أهمية عن القطاع الحكومي والخاص في مسيرة التنمية التي تنشدها الدول، فهو أحد آليات تحقيق الاستقرار الاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي، كما يحتل مساحة واسعة من نشاطات المجتمع المدني؛ حيث تتنوع المؤسسات غير الربحية تنوعًا كبيرًا.

والغاية من العمل الخيري ليس محاربة الفقر أو إنهائه؛ فهو سنة كونية لا مناص منها؛ وإنما يهدف إلى التخفيف من حالات العوز الإنساني، والفقر المجتمعي؛ ولذلك تُشير الدراسات إلى أن هناك عدة درجات للفقر، وهي:

- **الفقر** (***Poverty***): وهو يعبر إجمالًا عن الحرمان من الحاجات الضرورية اللازمة للبقاء؛ مما يترتب عليه ضمنًا الحاجة إلى عمل خيري.

- **البؤس/ العوز** (***Misery/Indigence***): ويعني الفقر بالمفهوم السابق، مضافًا إليه استدامة الحرمان من الحاجات الأساسية؛ من خلال استمرار المسببات المؤدية لنقص الحاجة.

---

(١) انظر: القرضاوي، يوسف: **العمل الخيري من المقاصد الأساسية لشريعة الإسلام**، مقال منشور على موقع الدكتور يوسف القرضاوي على شبكة الإنترنت، بتاريخ ١٤/٠٨/٢٠٠٧م.

• **الفقر المدقع** (***Pauperism***): كل ما سبق، مضافًا إليه ظهور آثار العوز ماديًا ونفسيًا على الفقراء؛ كسوء التغذية مثلًا.

وفي الاسلام هناك درجات للفقر وهو:

• **المحتاج**: وهو من يجد قوته واكله وشربه ولكن لديه حاجات متنوعة طارئة كدية أو تضرر من جائة مؤقته. وهذا قد يكون من أهل الزكاة وقد لا يطون حسب حاجته.

• **المسكين**: هو الذي لا يوجد عنده مال كافٍ لحاجته، وقيل هو الذي ليس لديه ما يكفيه لمدة عام، بالإضافة أنه يسأل الناس ويطلب منهم الاعانة، وهو أحسن حالا من الفقير.

• **الفقير**: هو الذي لا يوجد عنده مال لحاجته، وقيل هو الذي ليس لديه ما يكفيه لمدة يوم، بالإضافة أنه لا يسأل الناس وظاهره التعفف، وهو أحسن أسوء من المسكين.

وبذلك.. فالعمل الخيري يعني بمحاربة الفقر المدقع، والبؤس/العوز، إضافة إلى التخفيف من حالة الحرمان من الحاجات الضرورية[1].

(١) عرفة، خديجة: **العمل الخيري.. خلفية نظرية حول المفهوم** (ص٦)، بحث منشور بمجلة مداد.

أقسام العمل الخيري

ينقسم العمل الخيري إلى نوعين:

النوع الأول: ما كان قاصرًا على فاعله: وهي الاعمال التي يقوم بها الفرد وهو المستفيد منها المباشر: ان يهتم بتعليم نفسه أو تغذية جسمه، أو يقوم بعبادات تعود بالفائدة عليه[1].

النوع الثاني: ما كان متعديًا أثره إلى الآخرين. وينقسم إلى قسمين أيضًا:

أ ـ عمل فردي.

ب ـ وعمل مؤسسي.

---

(١) فعن معاذ بن جبل ﷺ قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر، فأصبحت يومًا قريبًا منه، ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله.. أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني عن النار؟ قال: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ». ثمَّ قال: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟» قلت: بلى يا رسول الله.. قال: «الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ»، ثمَّ تلا قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۞ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧] أخرجه الترمذي في سننه (رقم ٢٦١٦)، وقال: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ»، وأحمد في مسنده، (٣٦/ ٣٤٤).

١ ـ العمل الخيري الفردي: هو عمل يقوم به فرد. وأشكاله كثيرة ومتعددة، ولا يرتبط بزمان، ولا مكان.

٢ ـ العمل الخيري المؤسسي: هو الذي تقوم عليه مؤسسة متخصصة. ويعتبر أوسع وأشمل في شكله ونشاطه وإمكانية تحقيق أهدافه؛ وذلك لما يتميز به من طاقات بشرية وفكرية، وجهود متضافرة ومتعاونة، تقوم على دراسات وخطط واضحة وواقعية.

المبحث الأول

العمل الخيري في الإسلام

مدخل:

امتاز النظام الإسلامي في تشريعه لأعمال البر والخير ـ من مساندة الفقراء، وإعانة المحتاجين، والإنفاق في أوجه الخير المختلفة ـ بوجود حوافز إيمانية، وقِيم أصيلة، تدفع الإنسان إلى البذل والعطاء، وتقديم كل ما لديه من أموال وممتلكات في سبيل الله تعالى؛ لكي يجد ثوابها في الآخرة.

من ناحية أخرى فإن العمل الخيري يعتبر من أهم الأعمال التي يرتكز عليها الإسلام في النهوض بالأفراد والمجتمعات، وبناء الدول والأوطان؛ بل هو دعامة رئيسة، وركيزة أساسية في وجود هذه المجتمعات والدول ذاتها.

وتنطلق هذه الأهمية من القيمة المضافة للعمل الخيري، والاستفادة المترتبة عليه؛ وهو التقرب إلى الله تعالى بالعمل الصالح، كما أنه جزء من العبادة.

فما هو مفهوم العمل الخيري في الإسلام؟ وما مشروعيته؟ وتطبيقاته؟

مفهوم العمل الخيري في الإسلام

للعمل الخيري مفهوم عام، أصله القرآن الكريم، ورسخه المصطفى ﷺ؛ بحيث يشمل البذل والعمل في وجوه البر والخير ـ المادي والمعنوي ـ، كما يشمل المنح والعطاء فيما يملكه الإنسان من طاقات وقدرات، وإمكانات جسمية أو عقلية أو معنوية أو مالية.

وباعتبار أن الأمة المحمدية هي: (خير أمة)؛ فإنه يجب عليها أن تفعل الخير، وتدعو إليه. ومعايير الخير في القرآن الكريم واضحة لا لبس فيها، ولا غموض.

لذلك.. نجد أن لفظ «الخير» ورد في آيات الذكر الحكيم مائة وثماني وثمانين مرة (منها ثمان مرات في صيغة أخيار وخيرات وخيرة)، وجاء في سياقات متنوعة بقدر تنوع سياقات الحياة المدنيَّة الدنيوية، والدينية الأخروية.

وكما قال أحد المفكرين: إن القرآن الكريم قد استوعب معاني «الخير» بدلالاته اللغوية والاجتماعية التي عرفها لسان العرب في الجاهلية وقبل نزول الوحي، ثم انتقل بها إلى معانٍ جديدة، وتدرج بها إلى أن استقرت في معنى «الأفضل» بمقاييس القرآن ذاته[1].

(١) انظر: غانم، إبراهيم البيومي: **الرؤية القرآنية لمجتمع الخير العام** (ص١٢)؛ نقلاً عن الشاهد بوشيخي.

مشروعية العمل الخيري في الإسلام

يعتبر الإسلام خاتمة الأديان جميعها، وخلاصة وتكملة لها. فجاء بمنظومة عملية شاملة لمختلف أوجه النشاط الإنساني، ومختلف الشرائع والتشكيلات الاجتماعية.

واحتل العمل الخيري مكانة مرموقة في التنظيم الاجتماعي للمجتمع الإسلامي؛ لأن الدين الإسلامي الحنيف يعتبر كل نشاط إنساني يحقق للأمة الرفاهية والسعادة، ويكفل بين أفرادها الإخاء والتعاون، ويضمن لها التقدم والرقي، ويحقق لها المنعة والعزة، يندرج ضمن ما يعد من مناط التكليف[1].

والعمل الخيري في الإسلام عبادة من أجل العبادات، وقربة من أعظم القربات، فالنصوص القرآنية زاخرة بالتوجيهات الربانية التي تدعو إلى فعل الخير والحث عليه، وقد تعددت الألفاظ الدالة على عمل الخير في القرآن الكريم لشرف منزلته، وعلو مكانته، منها: البر، والإحسان، والصدقة، والرحمة، ونحو ذلك.

كذلك وردت وتنوعت ألفاظ الخير في السنة النبوية؛ كإغاثة الملهوف، وتفريج الكرب، وكفالة الأيتام، ورعاية الأرامل، والسعي على الفقراء والمساكين.

(١) ابن الخوجة، محمد الحبيب: مواقف الإسلام (ص٥٠)، دار الكتب الشرقية ـ تونس.

ويمكن أن نقسم الكلام في هذه المسألة على محورين، ونستقرئ النصوص من وجهين:

الأول: العمل الخيري في القرآن الكريم.

الثاني: العمل الخيري في السنة النبوية.

أولًا: العمل الخيري في القرآن الكريم:

ورد العمل الخيري في القرآن في عدة مواضع حيث جاء في آيات كثيرة تارة مرغبًا فيه، وتارة حاثًا عليه، ونستعرض هنا جملة من تلك الآيات:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ١١٠].

٢ ـ وقال ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧]. فإذا كان حب المال متأصل في النفوس البشرية؛ فإن الله ﷻ جعل الإنفاق منه في سبيله ـ رغم حبه له ـ من علامات الإيمان بالله واليوم الآخر، فمن أجل مرضاته يقدم العبد الغالي والنفيس كسبًا لآخرته التي لا يعدلها شيء، وهذا حال أهل الإيمان.

٣ ـ وقال سبحانه: ﴿وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِۛ وَأَحْسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]؛ بل جعل الله ﷻ إمساك المال في هذه الآية الكريمة، وعدم الإنفاق منه في سبيله من التهلكة التي يعرض العبد نفسه لها في حال الشح والبخل، كما بينت ذلك كتب التفاسير عند تفسير هذه الآية بأن التهلكة: هي ترك النفقة في سبيل الله. وقال بذلك عطاء بن السائب، وسعيد بن جبير، وسفيان، عن ابن عباس، ومجاهد، وغيرهم.

وفي بيان هـذه الآية ما أورده الصحابي الجليـل أبو أيوب الأنصاري لما غزا القسطنطينية قال: فحمل رجل منا على العدو، فقال الناس: مه، لا إله إلا الله، يلقى بيده إلى التهلكة. قـال أبو أيوب الأنصاري: إنما تتأولون هذه الآية هكذا، إن حمل رجل يلتمس الشهادة أو يبلى من نفسه، إنما نزلت هذه الآية فينا معاشـر الأنصار. إنَّا لمـا نصر الله نبيه، وأظهر الإسـلام، قلنا بيننا معشـر الأنصـار خفيًا من رسـول الله ﷺ، إنا قد كنا تركنـا أهلنا، وأموالنـا، أن نقيم فيهـا، ونصلحها؛ فأنـزل الله الخبر مـن السـماء: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقـرة: ١٩٥]. فالإلقـاء إلـى التهلكـة أن نقيـم فـي أموالنـا ونصلحها وندع الجهاد. وقال أبو عمران: فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله؛ حتى دفن بالقسطنطينية[1].

٤ ـ وقـال سـبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

٥ ـ وقـال ﷻ: ﴿إِن تُبْـدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقـرة: ٢٧١]؛ بـل عظـم الله الإنفـاق؛ وخاصـة الإنفاق الـذي يخفيه صاحبه عن نظر المخلوقين؛ بل ووعد المنفقين بالخير والأجر العظيم وتكفير السيئات.

٦ ـ وقـال عز مـن قائـل: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤]، من كانت هذه صفاتهم: ينفقـون الأموال، ويبذلونها لوجه الله ﷻ

(١) تفسير الطبري (٣/ ٣٢٢).

في الإسرار والإعلان، جزاؤهم عظيم عند الله ﷻ؛ أن لا خوف عليهم في الآخرة، وأن لا يحزنوا على ما قدموه ابتغاء رضوان الله.

٧ ـ وقال جل شأنه: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢].

٨ ـ وقال ﷻ: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤]، ففي هذه الآية الكريمة جعل الله من صفات المتقين: الإنفاق والبذل في سبيل الله، في السراء والضراء. فهم ينفقون في كل أحوالهم، يبتغون الأجر والثواب من الله.

٩ ـ وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]، وأحيانًا يرغب الله بالإحسان إلى الدائرة المحيطة بك؛ من ذوي القربى، واليتامى، والمساكين، والجار ذي القربى، والجار الجنب. وفي مقابل هذه الآيات الحاثة على الإنفاق، ذمت آيات أخرى المانعين للخير، وشنعت عليهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [القلم: ١٠ ـ ١٢].

١٠ ـ وقال تعالى: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]. فمن عناية الإسلام بالفقراء والمساكين؛ أن سن لهم قوانين وأنظمة وتشريعات تحفظ عليهم حياتهم؛ كما في كفارة اليمين؛ حيث جعل الله مصرفها لهم، وهذا إن دل فإنما يدل على عظمة هذا التشريع الرباني، الذي سدت حاجة آلاف الأسر الفقيرة والمعدومة، بما شرعه من الكفارات.

١١ ـ وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]. جعل الإسلام مقدارًا معينًا في أموال الأغنياء، وهذا المقدار ليس نفلًا؛ وإنما فريضة فرضها الله ﷻ عليهم، وجعلها أحد أركان الإسلام، وحدد الأصناف المذكورة في الآية آنفًا، المستحقة لها، فما أعظمه من تشريع إلهي، يرقى بالفرد، ويبني المجتمع على أساس من التعاطف والتراحم، والألفة والمودة بين الأغنياء وإخوانهم من الفقراء؛ فلا تحاسد ولا تباغض، ولا عداء ولا شحناء في مجتمع تطبق فيه تعاليم الإسلام، ففيه التعاون على البر والتقوى، وفيه الرحمة والعدل، وفيه المحبة والإحسان.

١٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠]، أمر الله بالإنفاق ما دامت هذه الروح منعمة في هذا الجسد قبل أن يحل عليها الموت فيحول بينهما وبين عبادة الإنفاق في سبيله، وما هذا إلا نذر يسير من حكمة التشريع الرباني.

١٣ ـ وقال ﷻ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨، ٩]، في هذه الآية جمع بين عبادة الإطعام والإنفاق على الفقراء والمساكين، مقرونة بدلالة الإخلاص له ﷻ، فإطعام الفقراء من أعلى أوجه البر والخير. لذلك لابد أن يكون الإنفاق من أطيب ما تحب من الطعام أو المال، فإن فعلت ذلك نلت البر المذكور في الآية الكريم.

١٤ ـ وقال سبحانه: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠].

١٥ ـ وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]. فقوله تعالى: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾ يشمل كل أنواع الخير، ومنها تقديم العون لمن يحتاج إلى معونة.

هذه النصوص القرآنية السابقة، كلها دالة على مشروعية العمل الخيري في الإسلام، ويكفي أن ننظر إلى ركن من أركان الإسلام وهو الزكاة، وكيف حدد الشرع المطهر النسبة التي تؤخذ من أموال الأغنياء ثم ترد على الأصناف المذكورة في الآية الكريمة، والتي منها الفقراء ـ كما مر معنا آنفًا ـ.

فالنصوص كثيرة متضافرة في مشروعية العمل الخيري؛ بل في المسارعة إليه، والرغبة فيه، والحث عليه، فلا توجد رسالة من الرسالات، أو مبدأ من المبادئ، أو نظامًا من الأنظمة، أو قانونًا من القوانين، حوى ما حوته شريعتنا الغراء من النصوص التي اشتملت على هذه الكمية الهائلة من التوجيهات الربانية؛ لإعانة الفقراء والمساكين، أو كفالة الأيتام أو الأرامل، أو تفريج الكرب وإغاثة الملهوف؛ بل الأمر في شريعتنا أوسع من ذلك.

ثانيًا: العمل الخيري في السنة النبوية:

السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع، وقد زخرت بالنصوص الكثيرة التي اعتنت بالعمل الخيري، ورغبت به، قولًا وفعلًا، نصحًا وإرشادًا، دلالة وترغيبًا، ففتحت أبوابًا عظيمةً من الخير، والمسابقة فيه، فمن ذلك:

١ ـ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ»، فقالوا: يا نبي الله، فمن لم يجد؟ قال: «يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ، وَيَتَصَدَّقُ»، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ»، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: «فَلْيَعْمَل بالْمَعْرُوف، وَلْيُمْسِك عَنْ الشَّرِّ؛ فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ»[(١)].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب على كل مسلم صدقة (رقم ١٤٤٥) واللفظ =

٢ ـ وقد بيّن رسول الله ﷺ بعض الأوجه الخيرية؛ حيث قال: «إنَّما الدُّنيا لأربعةِ نفرٍ: عبدٌ رزقَه اللهُ مالًا وعِلمًا، فهوَ يتَّقي ربَّهُ فيهِ، ويصلُ بهِ رحِمَهُ، ويعلَمُ للهِ فيهِ حقًّا؛ فَهَذا بأفضلِ المَنازلِ. وعبدٍ رزقَهُ اللهُ علمًا ولم يرزُقهُ مالًا، فَهوَ صادقُ النيَّةِ، يقولُ: لَو أنَّ لي مالًا لعَمِلتُ فيه بعَملِ فلانٍ؛ فهو بنيَّتِهِ، فأَجرُهُما سواءٌ. وعَبدٌ رزقَهُ اللهُ مالًا ولَم يَرزُقهُ عِلمًا، يخبِطُ في مالِهِ بغيرِ عِلمٍ، لا يتَّقي فيهِ ربَّهُ، ولا يَصلُ فيهِ رحمَهُ، ولا يعلَم للهِ فيهِ حقًّا؛ فهو بأخبَثِ المنازلِ. وعبدٌ لم يَرزُقْهُ اللهُ مالًا ولا عِلمًا، فَهوَ يقولُ: لَو أنَّ لي مالًا لعَمِلْتُ فيهِ بعمَلِ فلانٍ؛ فَهوَ بنيَّتِهِ، فوزرُهُما سواءٌ»[(١)].

٣ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا مَاتَ ابنُ آدم انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[(٢)].

٤ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا؛ نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ؛ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا؛ سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»[(٣)].

= له، ومسلم باختلاف يسير، كتاب الكسوف، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (رقم ١٠٠٨).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (رقم ١٦٣١).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر (رقم ٢٣٢٥)، وقال: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيح»، وصحَّحه الألباني.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (رقم ٢٦٩٩).

٥ ـ وعن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»(١).

٦ ـ وعند عدي بن حاتم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»(٢).

٧ ـ وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ ـ وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ ـ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ؛ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»(٣).

٨ ـ وعن عمرو بن الحارث، عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود ﷺ قالت: كنت في المسجد فرأيت النبي ﷺ فقال: «تَصَدَّقْنَ، ولو مِن حُلِيِّكُنَّ»، وكانت زينب تنفق على عبد الله وأيتام في حجرها، قال: فقالت لعبد الله: سل رسول الله ﷺ: أيجزي عني أن أنفق عليك وعلى أيتامي في حجري من الصدقة؟ فقال: سلي أنت رسول الله ﷺ! فانطلقتُ إلى النبي ﷺ فوجدت امرأة من الأنصار على الباب حاجتها مثل حاجتي، فمر علينا بلال فقلنا: سل النبي ﷺ: أيجزي عني أن أنفق على زوجي وأيتام لي في حجري؟ وقلنا:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (رقم ٢٥٨٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عُذِّب (رقم ٦١٧٤)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار (رقم ١٠١٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب لقوله تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٦، ٢٧٧] (رقم ١٤١٠).

لا تخبر بنا، فدخل، فسأله، فقال: «مَن هُما؟» قال: زينب. قال: «أيُّ الزَّيانِبِ؟» قال: امرأة عبد الله، قال ﷺ: «نعم، لهما أجْرانِ: أجْرُ القَرابَةِ، وأَجْرُ الصَّدَقَةِ»(١).

٩ ـ ومن الترغيب الذي جاءت به السنة أيضًا في هذا المجال: كفالة الأيتام، والسعي على الأرملة والمسكين؛ حيث قال ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ»، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينها»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ»(٣).

١٠ ـ وقد كان النبي ﷺ يتفقد أصحابه في عمل الخير، ويبين لهم الجزاء الذي ينتظرهم في الآخرة، وأن الأعمال من وفق إليها بشر بالجنة، فعن أبي هريرة قَال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَال أبو بكر رضي الله عنه: أَنَا. قَال: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَال أبو بكر رضي الله عنه: أَنَا. قَال: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» قَال أبو بكر رضي الله عنه: أَنَا. قَال: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قَال أبو بكر رضي الله عنه: أَنَا. فَقَال رسول الله ﷺ: «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٤).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر قاله أبو سعيد عن النبي ﷺ (رقم ١٤٦٦)، ومسلم كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين (رقم ١٠٠٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقاق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، (رقم ٢٩٨٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، رقم (٥٠٣٨)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم (رقم ٢٩٨٢).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة وأعمال البر (رقم ١٠٢٨).

١١ ـ وبين النبي ﷺ أجر العامل على الصدقة بالحق، فأجره كأجر الغازي في سبيل الله، وهذه والله بشارة عظيمة من رسول الهدى ﷺ للعاملين في الحقل الخيري. فعن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الْعَامِلُ فِي الصَّدَقَةِ بِالْحَقِّ لِوَجْهِ اللهِ عز وجل؛ كَالْغَازِي فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ»(١).

١٢ ـ وقد جعل الله عز وجل أحب العباد إليه: هو من يقدم النفع للآخرين. وجعل من أحب الأعمال: من يكُف دينًا، ومن يزيل كربًا، ومن يطرد جوعًا؛ فإن هذه الأعمال أحب إليه من الاعتكاف في المسجد؛ لما فيها من النفع المتعدي للعباد. فهذه الأحاديث وغيرها أصل من أصول العمل الخيري؛ لما تضمنته صراحة ووضوحًا؛ بل رتب الله عليها من الجزاء الأخروي ما يثلج صدور المؤمنين العاملين في إغاثة المحتاجين؛ من إيواء المشردين، ودفع الجوعى والبرد عن إخواننا المسلمين.

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ، بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُم»(٢).

١٣ ـ والله عز وجل يختص من عباده عبادًا لقضاء حوائج الناس، وعدها من النعم التي أنعم الله بها عليهم ما عملوا فيها، فإذا تركوها نزعت منهم إلى غيرهم. فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ للهِ قَوْمًا

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج والامارة، باب السعاية على الصدقة (رقم ٢٩٣٦)، والترمذي، كتاب الزكاة، باب ما جاء في أجر العامل على الصدقة بالحق (رقم ٦٥٤)، وقال: «حديث حسن»، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود (٢/٢٢٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض (رقم ٢٤٨٦)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأشعريين (رقم ٢٥٠٠) واللفظ له.

يَخْتَصُّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، وَيُقِرُّهَا فِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ فَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ»(١).

١٤ ـ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أخبره أن رسول الله ﷺ قال: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢).

١٥ ـ وكان من هديه وكرمه ﷺ أنه يعطي الشيء وهو محتاج إليه، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِبُرْدَةٍ، فَقَالَ سَهْلٌ لِلْقَوْمِ: أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟! فَقَالَ الْقَوْمُ: هِيَ الشَّمْلَةُ. فَقَالَ سَهْلٌ: هِيَ شَمْلَةٌ مَنْسُوجَةٌ، فِيهَا حَاشِيَتُهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ.. أَكْسُوكَ هَذِهِ. فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَلَبِسَهَا، فَرَآهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ.. مَا أَحْسَنَ هَذِهِ، فَاكْسُنِيهَا. فَقَالَ: «نَعَمْ». فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ لَامَهُ أَصْحَابُهُ، قَالُوا: مَا أَحْسَنْتَ حِينَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَهَا مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا، وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لَا يُسْأَلُ شَيْئًا فَيَمْنَعَهُ، فَقَالَ: رَجَوْتُ بَرَكَتَهَا حِينَ لَبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ لَعَلِّي أُكَفَّنُ فِيهَا(٣).

فمشروعية العمل الخيري الدالة عليه، والمرغبة فيه، أكثر من أن تحصى، وفيها من الأجر ما يجعل أهل الخير يتسابقون إليها. فهذه جملة من الأحاديث

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج (رقم ٥)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع رقم (٢١٦٤)».

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والنصب، باب لا يظلم المسلم ولا يسلمه (رقم ٢٤٤٢)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (رقم ٢٥٨٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل (رقم ٥٦٨٩).

التي بينها النبي ﷺ، وكلها تؤكد وترغب وتحث على إغاثة الفقراء، أو إطعامهم، أو كفالة الأيتام والأرامل، والسعي على المساكين والمحتاجين، وجعل أجر العامل على الصدقة كأجر الغازي في سبيل الله.

فهذه الأحاديث المتكاثرة المتضافرة تبين لنا أن العمل الخيري في الإسلام ركيزة أساسية، وأصل أصيل، ومقصد عظيم من مقاصد هذا الدين.

نماذج وتطبيقات للعمل الخيري الإسلامي

زخرت السنة النبوية بالنماذج الكثيرة التي تدل على فعل الخير وتطبيقه في أرض الواقع، متمثلة في شخص النبي الكريم ـ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ، وكذلك من أقوال وأفعال صحابته الأبرار، وآل بيته الأطهار، فمن ذلك:

أولًا: في عهد النبي ﷺ:

سبق وأن ذكرنا موقف أبي طلحة رضي الله عنه عندما نزل قول الله عز وجل: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢]؛ حيث بادر إلى إنفاق أحب أمواله إليه، وهو بستان يسمى بيرحاء، كانت بجوار مسجد النبي ﷺ، وكان يحبها كثيرًا؛ لجمالها، وعذوبة مائها، وكان النبي ﷺ يدخلها، ويشرب من مائها العذب المذاق، ويستظل فيها، فقال للنبي ﷺ: «إنها صدقة لله، أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال ﷺ: «بَخٍ بَخٍ، ذَلِك مَالٌ رَابِحٌ»[1].

وهكذا نجد النبي ﷺ يحث أصحابه على الصدقة، ويرغبهم فيها؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِفَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ،

(١) سبق تخريجه.

فَسَمِعَ صَوْتاً في سَحَابَةٍ: اسقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءهُ في حَرَّةٍ ـ وهي الأرض ذات الحجارة السوداء ـ، فإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَت ذَلِكَ الماءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ المَاءَ، فإِذَا رَجُلٌ قَائمٌ في حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الماءَ بِمسحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، ما اسمُكَ؟ قال: فُلانٌ، للاسم الذي سَمِعَ في السَّحابةِ، فقال له: يا عبدَ الله، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوتْاً في السَّحابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ، يقولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لاسمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا، فَقَالَ: أَمَا إذ قلتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثاً، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ»[1].

ولا شك أن المنفق في سبيل الله ينال أجرًا عظيمًا، فهو ينفق كل يوم في سبيل الله امتثالًا لله ورسوله؛ فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ؛ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»[2].

بل الأمر أخطر على الممسك الشحيح أو البخيل؛ فإن الله وكل ملكاً يدعو عليه إن كان ممسكًا، ويدعو له إن كان منفقًا، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصبِحُ العِبادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»[3].

وقد فهم الصحابة هذه الآيات الكريمات، والأحاديث المرويات؛ بل وضربوا أروع الأمثلة في البذل والإنفاق، والسعي والإعطاء، وعلموا أن التجارة

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب الصدقة في المساكين (رقم ٢٩٨٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه (رقم ٢٣٢٠)، ومسلم، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع (رقم ١٥٥٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ...﴾ الآية، (رقم ١٤٤٢)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب في المنفق والممسك (رقم ١٠١٠).

الرابحة هي تلك التي تكون مع الله، ويبقى ما فعله عثمان بن عفان ﷺ أنموذجًا وصورة رائعة من صور البذل والإيثار.

ومن ذلك.. لما قدم النبي ﷺ المدينة استنكروا ماءها؛ إذ لم يكن فيها ماء عذب؛ إلا بئر رومة الغفاري، وكان لا يسمح بالشرب منها إلا بثمن، فكان يبيع منها القربة بُمدٍّ، فقال النبي ﷺ: «تَبِيعُنِيهَا بِعَيْنٍ فِي الْجَنَّةِ؟»، فقال: يا رسول الله، ليس لي ولا لعيالي غيرها، فقال النبي ﷺ: «مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَكُونُ دَلْوُهُ فِيهَا كَدِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ»[١]، وفي رواية أنه قال: «مَنْ يَحْفِرْ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ»[٢]. وجعل دلوه كدلاء المسلمين، ابتغاء الأجر والثواب الذي وعده إياه النبي ﷺ.

وإن من أعظم الصدقات والأوقاف ما كان في سقي الماء، فقد ورد عن سعد بن عبادة ﷺ قال: يا رسول الله، إن أمي توفيت، ولم توص، أفينفعها أن أتصدق عنها؟ قال ﷺ: «نعم، وعليك بالماء»[٣]. وجاء عنه أيضًا أنه قال: فأي الصدقة أفضل؟ فقال ﷺ: «سقي الماء»[٤].

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا، فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المساقاة، باب من رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة، مقسومًا كان أو غير مقسوم (رقم ٢٢٢٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان ﷺ (رقم ٣٦٩٧).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (رقم ٨٠٦١)، وصححه الألباني في «الصحيحة برقم (٢٦١٥)».

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (رقم ١٦٨١)، والنسائي (٦/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥)، وابن ماجه (رقم ٣٦٨٤)، وأحمد (رقم ٢١٩٥١)، وحسنه الألباني.

فَغَفَرَ لَهُ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟! قَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»(١).

وفي هذا الحديث دلالة على أن الإحسان إلى البهائم، وسقى الكلب، كانا سببًا للمغفرة، وشكر الله، فكيف بمن يحفر الآبار لسقي المسلمين الذين أصابت بلادهم القحط والجدب، كم سيكون لهم من الأجر المدخر عند رب العزة سبحانه. كما أن في هذا الحديث بيان لمقصد من مقاصد الدين الحنيف، وحسنة من محاسن الشريعة الغراء.

وهذا الفاروق عمر رضي الله عنه يسابق إلى عمل الخير، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أَصَابَ عُمَرُ بِخَيْبَرَ أَرْضًا، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: أَصَبْتُ أَرْضًا لَمْ أُصِبْ مَالًا قَطُّ أَنْفَسَ مِنْهُ، فَكَيْفَ تَأْمُرُنِي بِهِ؟، قَالَ: «إِنْ شِئْتَ حَبَّسْتَ أَصْلَهَا، وَتَصَدَّقْتَ بِهَا»، فَتَصَدَّقَ عُمَرُ أَنَّهُ لَا يُبَاعُ أَصْلُهَا، وَلَا يُوهَبُ، وَلَا يُورَثُ، فِي الْفُقَرَاءِ وَالْقُرْبَى وَالرِّقَابِ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَالضَّيْفِ وَابْنِ السَّبِيلِ، لَا جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ، أَوْ يُطْعِمَ صَدِيقًا غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ فِيهِ(٢).

وكذلك ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ [الحديد: ١١].

قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّ اللهَ لَيُرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ؟، قَالَ: «نَعَمْ، يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ»، قَالَ: أَرِنِي يَدَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَنَاوَلَهُ يَدَهُ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي حَائِطِي ـ قال ابن مسعود: وَلَهُ حَائِطٌ فِيهِ سِتُّمِائَةِ نَخْلَةٍ، وَأُمُّ الدَّحْدَاحِ فِيهِ وَعِيَالُهَا ـ، قال: فجاء أبو الدحداح فنادها: يَا أَمَّ الدَّحْدَاحِ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار (رقم ٣٤٦٧)، ومسلم، كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها (رقم ٢٢٤٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب الوقف كيف يكتب (رقم ٢٦٢٠)، ومسلم، كتاب الوقف، باب الوقف للأصل والصدقة بالغلة (رقم ١٦٣٢).

قَالَتْ: لَبَّيْكَ. فَقَالَ: اخْرُجِي، فَقَدْ أَقْرَضْتُهُ رَبِّي، ﷻ. وفي رواية أخرى: أنها لما سمعته يقول ذلك، عمدت إلى صبيانها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم، فقال النبي ﷺ: «كَمْ مِنْ عَذْق رَدَاح فِي الْجَنَّةِ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ». وأصل القصة في صحيح مسلم[١]. وجاء في بعض الروايات أنه قال: يا أم الدحداح اخرجي من الحائط فقد بعته بنخله في الجنة، فقالت: اربح البيع، ربح البيع، أو كلمة تشبهها[٢].

وكان عثمان رضي الله عنه من أكثر الصحابة إنفاقًا في سبيل الله، لما سأل رسول الله ﷺ يومًا: «من يَشْتَرِي بقْعَة آل فلَان فيزيدها فِي الْمَسْجِد بِخَير لَهُ مِنْهَا فِي الْجنَّة»، فاشتراها عثمان رضي الله عنه من صلب ماله، فبنى بها المسجد، ووسع[٣].

وأنه أيضًا جهز جيش العسرة، فقال النبي ﷺ بعد ذلك: «ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم، ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم يرددها مرارًا ﷺ»[٤].

وكان رجل يهودي من تجار المدينة يقال له: مخيريق[٥]، وكان حبرًا عالمًا غنيًا كثير المال من النخل، وكان يعرف رسول الله بصفته، فلما علم أنه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ركوب المصلي على الجنازة إذا انصرف (رقم ٩٦٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (رقم ١٢٤٨٢)، وابن حبان (رقم ٧١٥٩)، والحاكم في المستدرك (رقم ٢١٩٤) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم»، وصححه الألباني في «الصحيحة (رقم ٢٩٦٤)».

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه (رقم ٣٧٠٣)، والنسائي، كتاب الوصايا، باب وقف المسجد (رقم ٣٦٠٦)، وحسنه الألباني.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده بسند صحيح، (رقم ٢٠٥٠٨)، والحاكم في المستدرك (٣/ ١١٠)، وحسنه الأرناؤوط.

(٥) مخيريق النضري من بني النضير، وقد ذكر الواقدي في المغازي أنه أسلم واستشهد يوم أحد. وقيل: إنه بقايا قينقاع. انظر: الإصابة (٦/ ٥٧)، والأعلام: للزركلي (٧٠/ ١٩٤).

رسول الله من عند الله، ذهب إلى يهود، وقال: لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق. فقالوا: إن اليوم يوم سبت. فقال: لا سبت لكم، فأخذ سيفه وعدته وقال: إن أصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء، فذهب وقاتل مع النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في غزوة أحد، ثم قتل، وجاء عن محمد بن كعب أنه قال: أول صدقة في الإسلام وقف رسول الله ﷺ أمواله لما قتل مخيريق بأحد، وأوصى: إن أصبت فأموالي لرسول الله ﷺ، فقبضها، وتصدق بها، وقال ﷺ بعدها: «مخيريق خير يهود»[(١)].

وكان خالد بن الوليد من أكثر الصحابة جهادًا في سبيل الله؛ حتى لقبه النبي ﷺ بأنه سيف من سيوف الله، فقال: «نعم عبد الله خالد بن الوليد، سيف من سيوف الله»[(٢)]، وقد انشغل بالجهاد والفتوحات، والذب عن حياة المسلمين، وقيادة المعارك؛ ومع ذلك كله لم يغفل جانب الوقف في سبيل الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أما خالد؛ فإنكم تظلمون خالدًا، فقد احتبس أدرعه واعتاده في الله»[(٣)].

ولما أراد النبي ﷺ مسجده النبوي دخل المدينة، ولما وصل حي بني النجار بركت ناقته ﷺ، فقال: «يا بني النجار، ثامنوني بحائطكم هذا»، أراد النبي ﷺ أن يشتريه منهم، فقالوا: والله لا نطلب ثمنه إلا من الله، فكانت فيه قبور للمشركين، وبعض الخرب، والنخل، فأمر النبي ﷺ بقبور المشركين

(١) ذكرها الحافظ في الإصابة (٦/ ٧٣)، وابن شبة في تاريخ المدينة (١/ ١٧٣)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١/ ٧٨، ٧٩)، وابن سعد في الطبقات (١/ ٥٠١، ٥٠٢).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب مناقب خالد بن الوليد رضي الله عنه (رقم ٣٨٤٦)، وقال: «هذا حديث غريب»، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦٠]، (رقم ١٤٦٨)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب في تقديم الزكاة ومنعها (رقم ٩٨٣).

فنبشت، ثمّ بالخرب فسوّيت، وبالنّخل فقطع، فصفّوا النّخل قبلة المسجد، وجعلوا عضادتيه الحجارة، وجعلوا ينقلون الصّخروهم يرتجزون، والنّبيّ ﷺ معهم، وهو يقول: «اللهم لا خير إلا خير الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة»[(١)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ»، قال فذكر أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل[(٢)].

ونختم هذه الأحاديث الشريفة في توضيح ما عليه رسول الله ﷺ والصحابة الكرام من المنح والعطاء في وجوه الخير في زمن الرسول ﷺ، فقد أخرج الإمام ابن ماجه في سننه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ، وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ»[(٣)].

فتبين لنا أن الكثير من أصحاب رسول الله ﷺ منحوا وهبوا وأوقفوا لله دورهم للسكنى في مكة والمدينة والطائف وغيرها، فأوقفوا المساكن للفقراء والخانات ودور الضيافة للمسافرين وعابري السبيل.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية، ويتخذ مكانها مساجد؟ (رقم ٤٢٨)، ومسلم (رقم ٥٢٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللقطة، باب استحباب المواساة بفضول المال (رقم ١٧٢٨).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب المقدمة، باب ثواب معلم الناس الخير (رقم ٢٤٢)، وصححه ابن خزيمة (رقم ٢٤٩٠)، ولم يذكر المصحف، قال المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٥٥، ١/ ١٢١): «رواه ابن ماجه بإسناد حسن».

ثانيًا: في عهد الصحابة رضي الله عنهم:

وأما أعمال صحابة رسول الله ﷺ في الخير والوقف فكثيرة، وحسبنا في هذا البحث الاقتصار على بعضها:

١) ما ورد عن الخلفاء الأربعة:

١ ـ أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

أول من بادر إلى الوقف من أصحاب رسول الله ﷺ الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، فهذا أبوبكر الصديق رضي الله عنه أوقف دورًا له بمكة على ذريته[١].

٢ ـ عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

وهذا الفاروق عمر رضي الله عنه أوقف أرضًا له بخيبر لم يصب مالًا أنفس منها[٢].

٣ ـ عثمان بن عفان رضي الله عنه:

وهذا عثمان ذو النورين رضي الله عنه أوقف بئر رومة، وكانت بئرًا مشهورة في المدينة، عذبه الماء[٣].

٤ ـ علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

وهذا علي رضي الله عنه أوقف أرضه بينبع[٤]، كما أوقف عيونًا له كثيرة[٥]، منها يقال لها: البحير، وعين يقال لها: عين أبي تين، وعين يقال لها: عين نولاء، وهي اليوم تدعي العدر.

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (رقم ١١٩٠٠).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (رقم ١١٩).
(٥) ابن شيبة: **تاريخ المدينة** (١/ ٢٢٢).

٢) ما ورد عن بعض الصحابة:

١ ـ خالد بن الوليد رضي الله عنه:

ومر معنا كيف أوقف خالد بن الوليد ـ سيف الله المسلول ـ أدرعه وعتاده في سبيل الله.

ومما يجدر الإشارة له هنا أن الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم تنوعت مجالات منحهم وأوقافهم كما تبين لنا فما بين موقف للمسجد وآخر للجهاد في سبيل الله وآخر على الفقراء والمساكين.

٢ ـ الزبير بن العوام رضي الله عنه:

ويذكر هنا أن الزبير بن العوام أول من أوقف وقفاً لصالح الأرامل والمطلقات من بناته[١].

كما أنه تواتر الأمر بينهم؛ حتى قال جابر رضي الله عنه: لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ ذو مقدرة إلا وقف. وقال الترمذي رحمه الله: «والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، لا نعلم بين المتقدمين منهم في ذلك اختلافًا في إجازة وقف الأرضين وغير ذلك»[٢].

٣) ما ورد عن بعض زوجات النبي ﷺ:

١ ـ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

عن أم ذَرَّة، وهي مولاة لعائشة كانت تخدمها: أن ابن أختها عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما بعث إلى خالته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بمال في غرارتين، قالت: أراه ثمانين ومائة ألف درهم، في كلِّ غِرارة تسعون ألفًا، فدعت بطبق، وهي يومئذ

(١) البلوي، سلامة: **رعاية الفئات الخاصة** (ص٢٠).

(٢) سنن الترمذي، كتاب الأحكام عن رسول الله، باب الوقف (رقم ١٣٧٥).

صائمة، فجعلت تقسمه بين الناس، فأمسـت وما عندها من درهم، فلما أمست قالت: يا جارية.. هلمِّـي بفطوري. فجاءتها بخبز وزيت. فقالت: أما اسـتطعت فيما قسـمت اليوم أن تشـتري لنـا بدرهم لحمًـا نفطر عليـه؟! قالـت: لو كنت ذكرتيني لفعلت[١].

وعن هشـام بن عروة عن أبيه: أن معاوية بعث إلى عائشـة مرة بمائة ألف، قال: فوالله ما غابت الشمس من ذلك اليوم حتى فرقتها[٢].

وعـن عروة بن الزبير قـال: لقد رأيت عائشـة تتصدق بسـبعين ألفًـا، وإنها لترقع جانب درعها[٣].

٢ ـ أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها:

عن بـرَّة بنت رافـع قالت: لمـا خرج العطـاء أرسـل عمر إلـى زينب بنت جحش رضي الله عنها بالذي لها، فما أدخل عليها قالت: غفر الله لعمر، غيري من أخواتي كان أقوى على قَسم هذا مني. فقالوا: هذا كله لك. قالت: سبحان الله. واستترت منه بثوب، قالت: صبُّوه، واطرحوا عليه ثوبًا. ثم قالت لي: أدخلي يدك فاقبضي منه قبضة فاذهبي بها إلى بني فلان بن فلان ـ من أهل رحمها وأيتامها ـ فقسمته حتى بقيـة تحت الثوب. فقالت لها بـرَّة: غفر الله لك يـا أم المؤمنين، والله لقد كان في هذا حقّ. قالت: فلكم ما تحته الثوب. قالت: فوجدنا ما تحت خمسـة وثمانيـن درهمًا، ثم رفعـت يديها إلى السـماء، فقالت: اللهـم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا فماتت[٤].

---

(١) أخرجه هناد في الزهد (١/ ٣٣٨)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٤٧).
(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٤٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٧/ ٤١١).
(٣) أخرجه هناد في الزهد (١/ ٣٣٧).
(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٣٠٠).

وعـن محمد بن كعب قـال: كان عطاء زينـب بنت جحش رضي الله عنها اثنى عشـر ألفًا، لم تأخذه إلا عامًا واحدًا، فجعلت تقـول: اللهم لا يدركني هذا المال من قابل؛ فإنه فتنة، ثم قسمته في أهل رحمها، وفي أهل الحاجة، فبلغ عمر، فقال: هذه امرأة يراد بها خير، فوقف عليها، وأرسـل بالسلام، وقال: بلغني ما فرَّقت، فأرسـل بألف درهم تسـتبقيها! أي لنفقتهـا اليومية في البيت، فسـلكت به ذلك المسلك: أي فرقتها أيضًا[١].

٣ ـ أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها:

عن محمد بن سـيرين: أن عمر بعث إلى سـودة بغرارة من دراهم، فقالت: ما هذه؟ قالوا: دراهم. قالت: في غرارة مثل التمر؟! ففرَّقتها[٢].

واسـتمر أهل الفضل من الصحابة والتابعين ـ رضـي الله عنهم وأرضاهم ـ في الخير والوقف أزمنة عديدة، فقد نقل الشافعي قوله: «الوقف عندنا بالمدينة ومكة من الأمور المشـهورة التي لا يحتاج فيها إلى نقل خبر الخاصة، وصدقة رسـول الله ﷺ بأبي هو وأمي قائمة عندنا، وصدقة الزبير قريـب منها، وصدقة عمر بـن الخطـاب قائمة، وصدقـة عثمان، وصدقـة علي، وصدقـة فاطمة بنت رسـول الله ﷺ، وصدقة مـن لا أحصى من أصحـاب رسـول الله ﷺ بالمدينة وأعراضهـا، وصدقة الأرقم بن أبـي الأرقم بن مخرمة بمكـة، وصدقة جبير بن مطعم، وصدقة عمرو بن العاص بالرهط من ناحية الطائف، وما لا أحصي من الصدقـات المحرمات لا تبعـن ولا توهبن بمكـة والمدينة وأعراضهـا... ولقد بلغني أن أكثر من ثمانين رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار تصدقوا صدقات موقوفات»[٣].

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ١١٠).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٥٦).

(٣) البيهقي، أبو بكر: **معرفة السنن والآثار** (٤/ ٥٤٧).

ثالثًا: في الحضارة الإسلامية:

إن حضارة الإسلام ـ بخيرها وعدالتها وإحسانها وبرِّها ـ نشرت القِيم السمحة والعدالة والمساواة، فكانت تلك الحضارة نورًا يمتدُّ في آفاق العالم شرقًا وغربًا، شمالًا وجنوبًا، عبر الأزمان والعصور، كلما أصابته كَبوةٌ، عاد إلى النور واليقظة من جديد.

ولأن الإسلام دين الرحمة، حرص المسلمون على إيصال الأموال إلى ذوي الحاجات؛ تقربًا إلى الله تعالى، وتأكيدًا على أنسنة هذا الدين وشموليته، فكانت أعمال البر والخير تأكيدًا لنُبْل نُفوسِهم، ويقظة ضمائرهم، وعلوِّ إنسانيَّتِهم؛ بل سلطان دينهم عليهم، وهم يتخيَّرون الأغراض الشريفة التي يوقفون لها أموالهم، ويَرجون أن تُنفَق في سبيل تحقيقها هذه الأموال.

ذكر الشيخ مصطفى السباعي في كتابه «من روائع حضارتنا»: «... ومن أهم المؤسسات الخيرية بناء الخانات والفنادق للمسافرين المنقطعين وغيرهم من ذوي الفقر ومنها: بناء بيوت الحجاج في مكة ينزلونها حين يفدون إلى بيت الله، وقد كثرت هذه البيوت وعمت أرض مكة كلها، وأفتى بعض الفقهاء ببطلان إجارة بيوت مكة في أيام الحج؛ لأنها كلها موقوفة على الحجاج، ومنها ما كانت للمقابر يتبرع الرجل بالأرض الواسعة لتكون مقبرة عامة، ومنها ما كان أكفان الموتى الفقراء وتجهيزهم ودفنهم، ومنها السقايات أي تسبيل الماء في الطرقات العامة للناس جميعًا، ومنها حفر الآبار في الفلوات لسقي الماشية والزرع والمسافرين، فقد كانت عواصم المدن الإسلامية ومدنها وقراها؛ حتى قلّ أن يتعرض المسافرون في تلك الأيام لخطر العطش...

ومن المؤسسات الاجتماعية ما كانت وقفًا لإصلاح الطرقات والقناطر والجسور، ومنها: المؤسسات الخيرية لإقامة التكافل الاجتماعي، واليتامى ولختانهم ورعايتهم، ومؤسسات للمقعدين والعميان والعجزة، يعيشون فيها

موفري الكرامة، لهم كل ما يحتاجونه من سكن وغذاء ولباس وتعليم أيضًا. وهناك مؤسسات لتحسين أحوال المساجين، ورفع مستوى تغذيتهم بالغذاء الواجب لصيانة صحتهم، ومؤسسات لإمداد العميان والمقعدين بمن يقودهم إليها»[١].

فهذه الأوقاف والأنواع من العمل الخيري في العصر الإسلامي يعد مفخرة حضارية بارزة في تاريخ المسلمين، وأحد أهم قيم التكافل الاجتماعي بين أفراده؛ مما ينعكس ذلك على المجتمع الإسلامي بالقوة، والمحبة، والتماسك بين أبنائه، وشيوع الرحمة والمودة، فهو يغطي حاجة الفقراء والمعوزين.

فالعمل الخيري المتمثل في الوقف في بداياته، دلالة على كمال هذا التشريع الرباني، الذي شمل مناحي الحياة؛ من معالجة لمشكلة الفقر إلى بناء المساكين لعابري السبيل، إلى دور التعليم من جوامع ومدارس، إلى ملاجئ ومصحات أنشئت للعجزة والمسنين لرعايتهم، فهو من أفضل الأعمال الخيرية، والقيم التعاونية التي تسود الأفراد والمجتمعات الإسلامية.

فهو يعد بحق من أبرز خصائص هذا الدين، وقيمه العالية الرفيعة، فهو دين يمتاز بالشمولية والعالمية والكمال والوحدة، وذكر الخصاف في كتابه «أحكام الأوقاف»: «... وفعل أصحاب رسول الله ﷺ في ذلك، وما وقفوه من عقاراتهم وأموالهم، إجماع منهم على أن الوقوف جائزة ماضية...»[٢].

(١) السباعي، مصطفى: **من روائع حضارتنا** (ص١٩٩، ٢٠٠).

(٢) الخصاف، أبو بكر: **أحكام الأوقاف** (ص١٨)، مطبعة ديوان عموم الأوقاف المصرية ـ القاهرة، ١٣٢١هـ/ ١٩٠٤م.

المبحث الثاني

العمل الخيري في الديانة المسيحية

مدخل:

تُعد النصرانية من أوسع الأديان انتشارًا وأكثرها اتباعًا، وربما تكون الأرقام التي تُعطى لأتباع هذه الديانة مبالغًا فيها أحيانًا؛ إلا أن السجلات التي ذكرتها الموسوعة البريطانية تقدم رقمًا يقارب أن يكون هناك شخص نصراني من أصل كل ثلاث أشخاص على وجه المعمورة، وهذا يعني بأن عدد النصارى يصل إلى ملياري شخص(١).

أي ما يقارب ٣٣٪ من سكان العالم، منهم ١٧٪ كاثوليك و٥,٨٪ بروتستانت و٣,٤٢٪ أرثوذوكس و١,٢٣٪ إنجيليون(٢). وتعتبر النصرانية ثاني الديانات الكبرى بعد اليهودية من حيث النزول وهي الدين الذي جاء به عيسى عليه السلام (٣).

حين نطالع أسفار العهد الجديد وما فهيا من أقوال عيسى عليه السلام وتعاليمه نجد فيها العديد من الأحكام والمبادئ المرتبطة بالصدقات التطوعية، والتكافل الاجتماعي؛ خاصة وأن دعوة عيسى عليه السلام كان من أهدافها الرئيسة: مقاومة مادية المجتمع اليهودي، ورد اليهود إلى الأخلاق الكريمة، من التسامح، والبذل، والبر بالفقراء، وترك الشهوات؛ لذلك كان المسيح هو نفسه مثالًا للتقشف،

---

(١) سميث، هوستن: **أديان العالم** (ص٣٩٢)، تعريب الحواشي: سعد رستم، وانظر أيضًا: **الموسوعة البريطانية** لعام ١٩٨٩م.

(٢) جيفرسون، توماس جيتس: **موسوعة أديان العالم ـ الفرق والأديان والمذاهب ـ** (ص٣٦)، إعداد وترجمة: مركز دافينش.

(٣) الحيني، محمد جابر عبد العال: **في العقائد والأديان ـ الديانات الكبرى المعاصرة ـ** (ص٢٣٨)، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١م.

وترك الدنيا، والتخلي عن الأموال، وعدم الإفراط في المأكل، والملبس، والمسكن[١]. وكانت تعاليمه في هذا الموضوع تغطي المساحة الواسعة مما ورد في أقواله وتعاليمه الإنجيلية.

ومن هذه التعاليم ما يتعلق بمجالات الإنفاق في سبيل الفئات المستحقة له، وقدر هذا الإنفاق، وحكم صرفه في حق الأغيار من غير المسيحيين، وشروط قبول الأعمال الصالحة عند الله ﷻ، وغيرها من المحاور والجزئيات والتفاصيل المتعلقة بمبادئ التكافل الاجتماعي، والتي تقتضي المقارنة والدراسة والتحليل.

(١) ((السباعي، مصطفى: **اشتراكية الإسلام** (ص٣٠)، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.

مفهوم العمل الخيري في المسيحية

حثت الديانة المسيحية على فعل الخير؛ وكان من أهم مقاصدها: ترسيخه في نفس الإنسان، ونشر قيمه في المجتمع؛ لذلك.. كان العمل الخيري إلزامي في المفهوم المسيحي؛ حيث أوجبت المسيحية صدقة الأغنياء على الفقراء، كما أوجبت على الفقراء تلقي الصدقات[١].

وهذا راجع إلى الإيمان بأن لكل البشر أصل واحد، ومصير واحد؛ لأن الله الخالق وضع في الطبيعة الإنسانية نظامًا جعل البشر إخوة متساوين في الكرامة الإنسانية؛ مهما كانت أوضاعهم الصحية والمادية، والسياسية والاجتماعية. فالإنسان الفرد ليس معزولًا عن الآخرين، وما يقوم به من أعمال له أبعاده الاجتماعية[٢].

يعرّف الخير في النصوص النصرانية بأنه كل ما يعود بالنفع سواء كان ماديًا أو معنويًا، ويمكن استنباط هذا المعنى من النص التالي: «ولكن ليشارك الذي

---

(١) غانم، إبراهيم البيومي: **مقاصد العمل الخيري والأصول الإسلامية للمشاركة الاجتماعية** (ص٤٥)، مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة، ٢٠١٠م.

(٢) يعقوب، ميلاد سامي: **هل يوجد مجتمع مدني في مصر؟** دراسة للعلاقة بين منظمات المجتمع المدني والدولة (ص١٠، ١١)، مجلة أحوال مصرية، السنة ٨، العدد٩. مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ٢٠٠٥، القاهرة.

يتعلم الكلمة المعلـم في جميع الخيـرات. لا تضلوا! الله لا يشـمخ عليه. فإن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضًا. لأن من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فسـادًا، ومن يزرع للـروح فمن الروح يحصـد حياة أبدية. فلا نفشـل في عمل الخير لأننا سنحصد في وقته إن كنا لا نكل»[١].

«يفسـر دون فليمونج معنى الخيرات بأنه يجب على المسيحيين أن يقدموا المسـاندة المادية لمن يعلموهم؛ فهم كالزراع يحصدون ما يزرعون، فتقديمهم شؤون الله على شئونهم الخاصة يثمر الصفات ذات البعد».

فبتقديم المساعدات للآخرين بلا كلل، سواء كانت مادية أو أي مساعدات أخرى، سوف يضمن المؤمنون لأنفسهم مكافآت في المستقبل[٢].

ويرى جون ماك آرثر في تفسـير هـذه الفقرة أن تعبير بولـس عن الخيرات لا يشـير إلـى التعويض المـادي، فالسـياق يوحـي بأنه يقصـد الأمـور الروحية والخلقيـة[٣]؛ والخير لا يقاس بالنسـبة إلى شـيء مجـرد؛ بل بالنسـبة إلى الإله الخالق الذي وحده يعطي الأشياء حسنها وصلاحها[٤].

أما العمـل فيعرّف حسـب ما ورد في رسـائل بولـس ما تأمر به الشّـريعة، شـريعة موسـى على وجه خاص؛ بل كلّ شـريعة أخرى، ويقوم به الإنسان في سبيل الله أو من أجل خلاصه[٥].

---

(١) غلاطية ٦: ٦ ـ ٩.

(٢) فليمنج، دون: **التفسـير المعاصر للكتاب المقدس** (ص٧٥٣)، ترجمة: لجنة التعليم بالكنيسـة الإنجيلية بقصر الدوبارة ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

(٣) آرثر، جون ماك: **تفسـير الكتـاب المقـدس** (ص٢٠٤١)، دار منهـل الحياة ـ القاهـرة، الطبعة الثانية، ٢٠١٢م.

(٤) : **معجم اللاهوت الكتاب** (ص٣٣٤)، دار المشرق ـ بيروت، الطبعة السادسة، ٢٠٠٨م.

(٥) اليسوعي، صبحي حموي: **معجم الإيمان المسيحي** (ص٣٣٥)، دار المشرق ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

ويقصد بالعمل الخيري في النصرانية (Philanthropy): «واجب العطاء كما هو منصوص عليه في العهد الجديد»[١].

ولو تأملنا العهد الجديد لرأينا أن الحث على العمل الصالح ـ غالبًا ـ ما ورد ضمن مفهوم الخدمة الدينية diakonia، التي تعني ضمن السياق الإنجيلي خدمة الجماعة المسيحية تحديدًا؛ حيث تتكرر في مواضع مختلفة لتصف عدة أصناف من الخدمة؛ كخدمة موائد المحبة «أما مرْثا فكانت منهمكة بشؤون الخدمة الكثيرة»، كما يرد في إنجيل لوقا[٢]، وجمع الصدقات لفقراء أورشليم «لكي تكون خدمتي هذه للقدّيسين في أورشليم مقبولة عندهم»، كما يرد في الرسالة إلى مؤمني روما[٣]، أو في الرسالة الأولى إلى مؤمني كورنثوس «وقد كرّسوا أنفسهم لخدمة القدّيسين»[٤].

أما أبلغ الكلمات عن الخدمة التي قالها المسيح عليه السلام متحدثًا عن نفسه أنه «ما جاء ليُخدَم؛ بل ليَخدِم»[٥]. فالعمل الصالح والخدمة ارتبطا دائمًا بالتبشير بالإنجيل؛ ولذا كان الحرص على فعل الخير بهدف نشر كلمة الرب.

---

(١) John Ross: La bienfaisance chretienne, (Londres: imprimerie de G.M.Waltis,1862), p1.

(٢) لوقا (١٠: ٤٠).

(إنجيل لوقا) هو الإنجيل الثالث في ترتيب الأناجيل الأربعة، ويحوي أربعة وعشرين إصحاحًا، وقد كتبه لوقا إلى اليهود والنصارى ما بين سنتي ٥٦ و٥٨ ميلادية تقريبًا.

(٣) لوقا (١٥: ٣١).

(٤) لوقا (١٦: ١٥).

(٥) متى (٢٠: ٢٨).

(إنجيل متى) هو أحد الأناجيل الأربعة ضمن العهد الجديد، والذي يصدر المسيحيون به كتابهم المقدس؛ فهو أول الأناجيل من حيث الترتيب؛ بل وأطولهم؛ إذ يحوي ثمانية وعشرين إصحاحًا. وقد كتبه متى لليهود في فلسطين بعد بضع سنوات من كتابة إنجيل مرقس، ما بين سنة ٦٠ ـ ٦٥ ميلادية.

والعمل الخيري أو التطوعي من وجهة نظر مسيحية وجد وبقوة؛ وإنْ كان المصطلح لم يرد بحرفيته في الإنجيل؛ إلا أن مرادفاته في اللغة اليونانية ـ اللغة الأصلية للإنجيل ـ ترد بكثرة.

فكلمة «خدمة» diakonia هي المرادف الإنجيلي لكلمة تطوع. واللفظ diakonia ينطبق أولًا على خدمات مادية لازمة للجماعة المسيحية الأولى؛ كخدمة موائد المحبة[١]، وجمع التبرعات من أجل فقراء أورشليم[٢].

وتشير الكلمة أيضًا في العهد الجديد إلى العمل المناط بالرسل في الكرازة بالإنجيل، وإلى الكهنة الذين هم متطوعون يعملون في حقل الرب وكنيسته.

لذلك فإن الكنيسة برمتها، في كيانها وبعلاقاتها الجوهرية بالمسيح هي كنيسة خادمة، على غرار عيسى عليه السلام، لم تأتِ إلى العالم لتُخدَم؛ بل لتَخدِم وتُعطِي حياتها وتبذل ذاتها من أجل الخير والعطاء؛ خدمة الإنسان في بناء الملكوت، مبتعدة عن كلّ انكفاء ذاتي وتعصب؛ لأنّها جُعلت لخدمة الإنسان في العالم.

فما علّمه عيسى عليه السلام لتلاميذه حينما أرسلهم للكرازة في كل أنحاء الأرض من أجل نشر بشارة الإنجيل وتعاليمه قائلًا لهم: «مجانًا أخذتم، مجانًا أعطوا»[٣].

وقال: إن فرح العطاء هو أعظم بكثير من فرح الأخذ. إن من يعطي ويعمل ويتطوع لخدمة الآخرين يأخذ أجرين، أجر المحبة وأجر العطاء، أجر في الأرض وأجر في السماء.

---

(١) أعمال (٦: ١، ٤)، وانظر: لوقا (١٠: ٤٠).

(٢) أعمال (١١: ٢٩)، (١٢: ٢٥)، رومية (١٥: ٣١)، ١ كورنثوس (١٦: ١٥)، ٢ كورنثوس (٨: ٤)، (٩: ١، ١٢ ـ ١٣).

(٣) متى (١٠: ٨).

العمل الخيري في النصوص المسيحية

بحلول المسيحية أخذت من مبادئها التماشي مع دستور العهد القديم مع تكملة ما نقص منها. ويؤيد ذلك ما جاء على لسان المسيح: لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء بل لأكمل.

وقد قامت المسيحية في مجتمع انحرف عن تعاليم دينه؛ إذ انهمك اليهود في عمليات تجارية لا أخلاقية جشعة، تهدف إلى جمع المال بأي طريقة كانت، فكان مجتمعًا ماديًا أنانيًا لا يهتم بالضعيف أو المحتاج. فأتى عيسى عليه السلام ليحدث تغير اجتماعي في هذا المجتمع كي يقلل تكالب الناس على المال وحتى لا يسحق الإنسان أخيه الإنسان، ويصعد السلم الاجتماعي على جثته، ولكي تسود الرحمة والشفقة ويسود السلام والحب والإخاء.

واتجهت رسالة عيسى عليه السلام إلى تطهير البشر من كل الرذائل ومحاربة المادية البشعة للمارقين اليهود، وما أدت إليه من تفاوت طبقي وإلى مظاهر التخلف والانحراف والتي كانت سائدة قبل نزول الأديان السماوية. وجاهد عيسى والحواريون في هذا المجال لعودة التعاليم والمبادئ السمحة لتؤثر في الناس، وليعم الهدى، وينشر الإخاء، ويعيش الناس في سلام[1].

(١) فتح الباب، عبد العزيز، شديد، محمد جمال: الخدمة الاجتماعية في الدول النامية (ص٣٩ ـ ٤٣).

وذهب اللاهتيون والمسيحيون من مبدأ طوبى للجياع والعطاش إلى البر إلى اعتبار العدالة منحة إلاهية تنطوي على الاستقامة الكاملة من قبل وقوع الزلة الكبرى. ورأى القديس (توما) أنها الفضيلة الأساسية التي تعطي كل ذي حق حقه[١].

وقد كان عيسى عليه السلام يبشر بمملكة السماء النقية من الشر، والخالية من البغضاء، والآلام، وأن إقامة مثل هذه المملكة تتطلب تحرر الإنسان من أنانيته، ومن عبودية الجسم والمادة. وأن يتآخى مع غيره من الناس بحيث لا يستمتع بحياته وهناك من يجوع ويتألم.

وكانت مملكة السماء فكرة ثورية كفيلة بسحق مجتمع مادي جشع، وإقامة مجتمع رفاهية وسعادة.

ومن هنا جاءت النصرانية مكملة للديانة اليهودية، ومرسخة للعمل الخيري، ففي نصوص العهد الجديد (الإنجيل) نجد أصول العمل الخيري واضحة، والتي يعبر عنها في مواضيع كثيرة، منها:

- **الاهتمام بالفقراء والتصدق عليهم في الإنجيل:**

١. أخذتم مجانًا؛ فمجانًا أعطوا[٢].

أي أن الله الخالق يجود على العالم بالحياة بلا مقابل، ويغمرهم ببركاته وخيراته مجانًا، وهو يدعونا إلى العطاء المجاني والخدمة المجانية لمساعدة الآخرين بما جاد هو به عليه مجانًا من مواهب وعطايا.

٢. كل ما أردتم أن يفعل الناس لكم افعلوه أنتم له[٣].

---

(١) العوا، عادل: الأخلاق الاقتصادية (ص٥٠).

(٢) متى (١٠: ٨)

(٣) متى (٧/ ١٢).

أي أن كل إنسان يقع في ضيق يرغب رغبة شديدة في أن يهب الآخرون إلى مساعدته ونجدته، فما يريد أن يفعله الناس له من تفهم ورحمة ومساعدة، عليه أن يفعله لغيره.

٣. افرحوا مع الفرحين، واحزنوا مع المحزونين.

أي أن الشعور مع الإنسان الآخر ومشاطرته الأخوة لأفراحه وأحزانه هو أيضًا عمل رحمة وخير، يحتاج البشر إليه في حياتهم الفردية والأسرية والمجتمعية.

٤. مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلَا تَرُدَّهُ[١].

٥. بيعوا ما لكم واعطوا صدقة...[٢].

٦. الفقراء سيكونون دائمًا معنا[٣].

٧. الذين يرحمون الفقراء، والمرضى، والمعوزين؛ هم في الواقع يخدمونه شخصياً[٤].

٨. في رسالة يوحنا الأولى: وَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ مَعِيشَةُ الْعَالَمِ، وَنَظَرَ أَخَاهُ مُحْتَاجاً، وَأَغْلَقَ أَحْشَاءَهُ عَنْهُ، فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَحَبَّةُ اللهِ فِيهِ؟ يَا أَوْلَادِي، لَا نُحِبَّ بِالْكَلَامِ وَلَا بِاللِّسَانِ، بَلْ بِالْعَمَلِ وَالْحَقِّ[٥].

---

(١) متى (٥: ٤٢).
(٢) لوقا (١٢: ٣٣).
(٣) متى (٢٦: ١١)، مرقس (١٤: ٧).
(٤) متى (٢٥: ٣٥ ـ ٤٠).
(٥) يوحنا الأولى (٣: ١٧ ـ ١٨).
(رسالة يوحنا الأولى) هي إحدى الرسائل التي تنسب إلى يوحنا؛ حيث له ثلاث رسائل، من المرجح أن هذه الرسالة كتبت ما بين عامي ٨٥ و٩٥ ميلادي.

٩. كما أن المسيح شجَّع الذين أرادوا اتّباعه على إدراك التزامهم بمساعدة المعوزين، فقال ذات مرة لشاب: «بع كل ما عندك، ووزِّع على الفقراء؛ فيكون لك كنز في السموات، وتعال اتبعني»[١].

١٠. من أطعم أو أعان فقيرًا الله يجزيه[٢].

١١. بيعوا أموالكم واعطوا صدقة[٣].

١٢. إذا أردت أن تكـون كاملًا فاذهب وبع أمـلاكك واعط للفقراء فيكون لك كنز في السماء[٤].

• مصطلح الخير في الإنجيل:

في الرسـائل المعتمدة لدى النصرانية وردت عدة عبارات صريحة في فعل الخير والأمر به، منها:

• الرسالة إلى أهل رومية[٥]:

١. وكيف يكرزون[٦] إن لم يرسـلوا؟: «ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام، المبشرين بالخيرات».

٢. «لا يغلبنك الشر؛ بل اغلب الشر بالخير».

---

(١) لوقا (١٨: ٢٢، ٢٣).

(٢)

(٣) لوقا: الإصحاح ١٢: ٣٣.

(٤) متى، الإصحاح ١٩: ٢١، ٢٢.

(٥) رسالة بولس الرسول إلى إلى أهل رومية (١٢: ٩ ـ ١٢: ٢١).
(بولس الرسـول) هو أحد قادة الجيل المسيحي الأول، وينظر إليه على أنه ثاني أهم شخصية في تاريخ المسيحية بعد عيسى ابن مريم.

(٦) الكرازة بمعنى: الدعوة والنداء للمسيحية.

٣. «الْمَحَبَّةُ فَلْتَكُنْ بِلَا رِيَاءٍ. كُونُوا كَارِهِينَ الشَّرَّ، مُلْتَصِقِينَ بِالْخَيْرِ».

• الرسالة إلى أهل غلاطية[١]:

١. «ولكن ليشارك الذي يتعلم الكلمة المعلم في جميع الخيرات».

٢. «فلا نفشل في عمل الخير؛ لأننا سنحصد في وقته إن كنا لا نكل».

٣. «فاذا حسبما لنا فرصة فلنعمل الخير للجميع، ولا سيما لأهل الإيمان».

• الرسالة إلى العبرانيين[٢]:

١. «لأن الناموس إذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الأشياء، لا يقدر أبدًا بنفس الذبائح كل سنة، التي يقدمونها على الدوام، أن يكمل الذين يتقدمون».

٢. «ولكن لا تنسوا فعل الخير والتوزيع، لانه بذبائح مثل هذه يسر الله».

٣. «وَأَمَّا الطَّعَامُ الْقَوِيُّ فَلِلْبَالِغِينَ، الَّذِينَ بِسَبَبِ التَّمَرُّنِ قَدْ صَارَتْ لَهُمُ الْحَوَاسُّ مُدَرَّبَةً عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ».

• رسائل بطرس الرسول[٣]:

١. «لأن هكذا هي مشيئة الله: أن تفعلوا الخير، فتسكتوا جهالة الناس الأغبياء».

---

(١) رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية (٦: ٦).

(٢) رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين (٥: ١٤ ـ ١: ١٠).

(٣) رسالة بطرس الرسول الأولى والثالثة (٢: ١٤ ـ ٢: ٢٠ ـ ١: ١١ ـ ٣: ١١ ـ ٣: ١٠ ـ ١٢). (بطرس الرسول) هو سمعان بطرس أحد الإثنى عشر حواريًا الذين اختارهم المسيح ليصحبوه.

٢. «فمن يؤذيكم إن كنتم متمثلين بالخير؟».

«مَـنْ أَرَادَ أَنْ يُحِبَّ الْحَيَـاةَ وَيَرَى أَيَّامًا صَالِحَةً؛ فَلْيَكْفُفْ لِسَـانَهُ عَنِ الشَّـرِّ، وَشَـفَتَيْهِ أَنْ تَتَكَلَّمَـا بِالْمَكْرِ، لِيُعْرِضْ عَنِ الشَّـرِّ وَيَصْنَـعِ الْخَيْرَ، لِيَطْلُبِ السَّـلَامَ وَيَجِدَّ فِي أَثَـرِهِ؛ لأَنَّ عَيْنَيِ الرَّبِّ عَلَـى الأَبْرَارِ، وَأُذْنَيْهِ إِلَـى طَلِبَتِهِمْ؛ وَلكِنَّ وَجْهَ الرَّبِّ ضِدُّ فَاعِلِي الشَّرِّ».

نماذج من العمل الخيري المسيحي

ترى المسيحية أن الإنسان قبل أن ينتمي إلى ديانة فهو ينتمي في الأصل إلى الإنسانية، بما تحمله له من حقوق وواجبات، ومن حقوقه الإنسانية الكثيرة: حقه على العمل، وأنواع العمل كثيرة ومتنوعة في الفكر المسيحي[١]، منها ما يقوم به الإنسان مقابل أجر؛ لكي يعيش بكرامته ويلبي حاجاته وطموحاته ومستقبل أبنائه، ومنها ما يقوم به بدون أجر مادي لصالح إنسان آخر أقل حظًا منه، أو لصالح مؤسسات خيرية في المجتمع[٢].

فقيمة عمل الإنسان لا تنحصر بالقيمة المالية؛ إذ له أيضًا قيمة أدبية وأخلاقية ودينية تربطه بالله وتربطه بالإنسان[٣].

وقد ساهمت الكنيسة في المجتمع من خلال عقيدتها الاجتماعية التي قادتها لتعزيز العمل الخيري، وتوفير الرعاية للمرضى والفقراء؛ من خلال التعاليم الدينية التي كانت الدافع الرئيسي وراء بناء المؤسسات الاجتماعية،

(١) يعقوب، ميلاد سامي: **هل يوجد مجتمع مدني في مصر؟** (ص١٣).

(٢) محمد شمس الدين أحمد وآخرون: **دراسات في خدمة الجماعة** (ص٢٣)، ط١، دار عقل للطباعة ـ مصر، ١٩٨٦م.

(٣) انظر: متى (٢٥/ ٣١ ـ ٣٩).

والمستشفيات، ودور الرعاية الصحية، وللكنيسة تاريخ طويل في إقامات المستشفيات وتقديم الرعاية الصحية للمرضى.

وفي داخل الكنيسة الكاثوليكية بأمريكا اللاتينية ظهرت حركة إصلاح دعيت بـ «لاهوت التحرير»، والتي ناضلت من أجل العدالة الاجتماعية، والقضاء على الفقر والديكتاتورية، والدفاع عن المظلومين.

وظهرت داخل الكنائس البروتستانتية منظمات خيرية، مثل: «جيش الخلاص»، و«جمعية الشبان المسيحيين»، والتي تدير مؤسسات متعددة تشمل مستشفيات ومراكز تأهيل لمدمني الكحول والمخدرات، ومعسكرات وأندية للصبية والفتيات، وأماكن إقامة للمسنين، وأندية ومراكز للعناية اليومية، كما تقدم برامج تعليمية للأمهات غير المتزوجات، ودعمًا للمسجونين وعائلاتهم.

بعد أن كانت المؤسسات الاجتماعية في الدول الغربية محتكرة بيد الكنائس، فقد اختلف الوضع اليوم؛ إذ تمول وتنظم الحكومات الغربية المؤسسات الاجتماعية، وغالبية مؤسسات الخدمة الاجتماعية اليوم هي بيد الحكومة؛ بالرغم من ذلك لا تزال الكنيسة تحتفظ بشبكة واسعة من مؤسسات الرعاية الصحية والاجتماعية في جميع أنحاء العالم. ففي الولايات المتحدة، واحد تقريبًا من كل ستة مرضى يعالج في مستشفى كاثوليكي. وتعتبر مؤسسة الصحة الكاثوليكية أكبر مؤسسة اجتماعية غير حكومية في استراليا؛ إذ تمثل حوالي ١٠٪ من القطاع الصحي، وتمتلك الكنيسة الكاثوليكية اليوم حوالي ٥,٨٥٣ مستشفى، و٨,٦٩٥ من ملاجئ أيتام، و١٣,٩٣٣ من بيوت مسنين ومعاقين، و٧٤,٩٣٦ من مستوصفات ومختبرات ودور حضانة. أمّا في ماكاو وسنغافورة وهونغ كونغ فإن الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية تدير عددًا من المستشفيات التي تشكل أكثر من ٩٠٪ من المستشفيات الخاصة في الصين، كانت للإرساليات البروتستانتية الطبيّة الأثر الأكبر في إدخال الطب

الحديث للصين خاصَّة من خلال المبشرين أمثال الجراح روبرت موريسون والقس جون ليفينغستون[١].

وقد أسهمت الدولة الإيطالية من جانبها إسهامات فعّالة في تطوير العمل الخيري داخل الكنيسة، فعلى إثر إصلاح اتفاق «الكونكورداتو» الذي ينظّم علاقة الدولة بالكنيسة، سنة ١٩٨٤م، توفر سندٌ مادي مهمّ موجَّه للكنيسة وترعاه الدولة: من خلال الحصول على خصم يضاهي ثمانية بالألف من العائدات الضريبية لكافة المواطنين، ممّا وفّر للكنيسة سندًا ماديًّا وفيرًا. تسلّمت الكنيسة بمقتضاه ـ خلال العام ١٩٩٥، ٩١٦ مليارًا، وسنة ١٩٩٦، ١٤٩٦ مليارًا، وسنة ١٩٩٩، ما مقداره ١٥٠٤ مليارات. وهو ما سمح للكنيسة بتغطية نفقات مهمّة لجهاز الإكليروس وتوجيه قسط هام من تلك العائدات إلى العمل الخيري أيضًا، سواء نحو الداخل الإيطالي أو نحو بلدان العالم الثالث. استطاعت تلك العائدات ما بين عام ١٩٩٠ و٢٠٠٥ أن تسهِم في إنجاز ٦٢٧٥ مشروعًا بقيمة ٧١٠ مليارات من اليورو، وكانت جملة من تلك المشاريع موجَّهةً أساسًا إلى بلدان الجنوب.

وضريبة ثمانية بالألف التي تحصل عليها الكنيسة من الدّخل السّنوي لكلّ مواطن تجاوزت المليار يورو خلال العام الحالي، بما مقداره تحديدًا ١,١٣٣,٠٧٤,٤٢٥ يورو، وقد بلغت خلال السنة الفائتة ٢٠١٩ ما مقداره ٩٩٧,٩٧٣,١٩٩,٢٦ يورو. خلال العام الحالي خُصّص تقريبًا مقدار ١٠ بالمائة منها للعمل الإغاثي والمساعدة على نطاق عالمي، وهي في العادة مساعدات تتعلّق بمشاريع تكوين وإنشاء مؤسسات تدريس وبعث مراكز تهدف بالأساس إلى رفع الأُمية، والحيطة الاجتماعية، والرعاية الصحية، والتنمية الزراعية،

(١) موقع تريزيا: **العدالة في تعليم الكنيسة الاجتماعي**، بتصرف، ٤ تشرين أول ٢٠١٠م، نسخة محفوظة ٠٥ مارس ٢٠١٦م على موقع واي باك مشين.

والنهوض بالقطاع النسوي، وحماية الشرائح الضعيفة، توزّعت على ثمانين دولة في العالم.

وللذّكر تسهر على المشاريع التي ترعاها «منظّمة الكاريتاس» «لجنة التدخل الإغاثي لفائدة العالم الثالث»، وهي منظمة تابعة للمجلس الأسقفي. تجتمع اللجنة ستّ مرّات في السنة، وهي تتكون من ١٤ عضوًا من رجال الدين المبشِّرين ومن خبراء جامعيين، ومن أطباء ومهندسين. تتلقى اللجنة المذكورة سنويًا ما يقارب ١٥٠٠ طلب لبعث مشاريع، ينال زهاء ثمانمائة مشروع منها الموافقة.

ولعلنا نختم هذا الموضوع باخر احصائيات المجلس الكنسي:

- عدد المؤسسات الخيرية والإغاثية التابعة للكنيسة المنتشرة عبر العالم يبلغ: (٥٣٩١) مستشفى، نجد العدد الأكبر منها في القارة الأمريكية (١٧٢٧)، تليها إفريقيا بـ (١٢٩٥).

- تملك الكنيسة (١٦٦١٠) نقطة صحّية، يوجد العدد الأوفر منها في إفريقيا (٥١٨١)، وفي أمريكا (٤٧٣١)، وفي آسيا (٣٥٢٠).

- تملك الكنيسة ٦٠٤ مشفىً مخصّصًا للأمراض الجلدية، يتوزّع أغلبها في آسيا (٢٩٦) وفي إفريقيا (١٨٧).

- الكنيسة تملك (١٦٢٧٠) دارًا للعجزة وللأمراض المزمِنة والمعوقين، يوجد العدد الأكبر منها في أوروبا (٨٣٤٨)، وفي أمريكا (٤٠٨٦).

- تملك الكنيسة ٩٩٢٤ دار الأيتام غالبيتها في قارة آسيا (٣٩٣٤).

- تملك الكنيسة (١٢٣٧٦) روضة للأطفال، يوجد العدد الأكبر منها في أمريكا (٣٤٣٥)، وفي آسيا (٣٢٤٧).

- لدى الكنيسة ١٤٥٥١ مستشارًا في الزواج، أغلبهم يقدِّمون مشورتهم في أوروبا (٥٦٦٦)، وفي أمريكا (٥٥٤٦).
- تملك الكنيسة (٣٧٧٦) مركزًا للتربية والتأهيل الاجتماعي.
- تملك الكنيسة (٣٨٤٨٤) مؤسّسات خدمات متنوعة[1].

(١) الأرقام مستوحاة من «الإحصاء العالمي للكنيسة»:

Annuarium Statisticum Ecclesiae, Libreria editrice vaticana, Citta del Vaticano, 2017.

انظر: لا بيلا، جاني: **مفاهيم الخير في المسيحيات الحديثة والمعاصرة من أجل بيداغوجيا للإحسان** (ص١٥٧، ١٥٨)، مقال منشور بمجلة التفاهم، السنة السابعة عشرة، خريف ٢٠١٩م/ ١٤٤١هـ.

المبحث الثالث

العمل الخيري في الديانة اليهودية

مدخل:

تعتبر الديانة اليهودية إحدى الديانات السماوية التي عرفتها المعمورة، وأقدمها ظهورًا، وهي الديانة التي نزلت على موسى عليه السلام في مصر، أثناء وجود بني إسرائيل فيها، وكتابها ومصدر التشريع لها هو الكتاب المقدس (العهد القديم) الذي أنزل على موسى عليه السلام في عقيدة اليهود وهو التوراة[1].

وهي أولى الشرائع السماوية التي برزت فيها معالم الرعاية الاجتماعية، من خلال الوصايا العشر التي كلَّم الله بها موسى عليه السلام. ثم أخذت تلك الرعاية الاجتماعية بُعدًا ومظهرًا آخرين؛ انطلاقًا من العقيدة التوراتية التي تحث على وجوب تأسيس «مملكة الله على الأرض» المقامة على أسس من العدالة والحق، والحد من المظالم بكافة صورها، وهذا الاعتقاد يستند على أن الله قد خلق الدنيا، ومن ثم يجب أن تتسم الحياة على الأرض بطبيعة الإله الخالق؛ لأن الخلق يحمل في طياته ذاتية الخالق وطبيعته. وتستند تلك المملكة على أعمدة ثلاثة رئيسة، وهي: الحق، والعدل، والسلام.

كما تدعو الديانة اليهودية إلى الإيمان بأن الإنسان فيه قبس من الله، وعليه أن يقوم بفعل الخير؛ حتى يؤكد تلك الحقيقة الإلهية الكامنة فيه.

وتدعو اليهودية أيضًا إلى أن للإنسان في العالم الدنيوي دورًا مقدسًا في تكملة عملية الخلق على الأرض. فأي تقدم إنساني ما هو إلا إسهام في تكميل عملية الخلق.

---

(١) انظر: جيفرسون، توماس جيتس، **موسوعة أديان العالم** ـ الفرق والأديان والمذاهب ـ (ص١١)، وكذلك ينظر: **العقائد والأديان**: جمع وأعداد عبد القادر صالح (ص٢٨٥، ٢٨٦)، دار المعرفة ـ بيروت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

مفهوم العمل الخيري في اليهودية

دعت التعاليم اليهودية إلى مبادئ العدل والمساواة، وعملت على تحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس، واعتبرت ذلك جزءًا من العمل المقدس. وإذا نظرنا في النصوص الواردة في العهد القديم، نجد ألوانًا متعددة لما يعرف اليوم بـ «الرعاية الاجتماعية»، والتي تقوم على دعائم ثلاثة: الحق، العدل، المساواة. كما نجد نماذج من «العمل التطوعي»، الذي يقوم على رعاية الفقراء والمحتاجين.

وتستمد أفعال الخير وإسداء الأعمال الصالحة حوافزهما في اليهودية من فريضة «الصدقة» المستوحاة من النص المقدس أساسًا، فلم يكن اختيار إبراهيم إلّا «ليوصي بنيه وأهل بته من بعده كي يحفظوا طريق الرب، عاملين البر والعدل»[١]؛ ليكون الإحسان عطية خالصة، وليس مجرد تبادل منافع أو إسداء خدمات لأشخاص من خارج العائلة[٢].

(١) سفر التكوين (١٨: ١٩).

(٢) عناية، عز الدين: **الإيمان وعمل البر والإحسان في اليهودية والمسيحية والإسلام** (ص٦٦)، بحث منشور بمجلة التفاهم، العدد (٣٥).

فقلة البر والإحسـان مما ينذر بالهلاك؛ حيث يعـزو النبي حزقيال خراب سـدوم إلى التفريط في إغاثـة الملهوف والمسـكين. «فالأرض لـن تخلوَ من الفقراء؛ لهذا أوصيكم أن تسـخوا على أخيكم المسـكين والفقير والمقيم في أرضكم»[1].

(١) سفر التثنية (١٥: ١١).

العمل الخيري في التعاليم اليهودية

ونعرض هنا جملة من نصوص العهد القديم[١]، تبين نماذج لما يعرف اليوم باسم: «الرعاية الاجتماعية» و«العمل التطوعي والخيري»، ومن ذلك:

- **الاهتمام بالفقير، والتصدق عليه في التوراة:**

النصوص التوراتية في الاهتمام بالفقير، والحث على التصدق عليه كثيرة، والتحذير من ظلمه؛ إساءة للرب؛ لأن من يقدر الفقر والغنى على العباد هو الله، والذي يحجب عينيه عن الفقراء يعرض الله عنه، وهذه جملة من هذه النصوص:

(١) يعد العهد القديم الجزء الأكبر من الكتاب المقدس. ويحتوي على جميع كتب اليهود، بما فيها التوراة. ويختلف العهد القديم في الكتاب المقدس المسيحي بحسب الطوائف المسيحية، التي تعترف كل واحدة منها بأسفار لا تعترف به الأخرى.
ويتكون العهد القديم حسب الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية من ٤٦ كتابًا، يطلق عليها اسم (أسفار). وأما الكنائس البروتستانتية فهي تتفق مع اليهود في قبول ٣٩ سفرًا فقط.
وأسفار العهد القديم على النحو التالي:
التوراة ـ خمسة أسفار ـ: سفر التكوين، سفر الخروج، سفر اللاويين، سفر العدد، سفر التثنية.
انظر: د. سعود الخلف: **دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية** (ص٧٦، ٧٧)، ط٥، دار أضواء السلف ـ الرياض، ١٤٢٧هـ، ومحمد بنتاجة: **استكشاف المسيحية الأولى** (ص١٥٣)، دار دروب للنشر والتوزيع.

١. طُوبَى لِلَّذِي يَنْظُرُ إِلَى الْمِسْكِينِ، فِي يَوْمِ الشَّرِّ يُنَجِّيهِ الرَّبُّ[١].

٢. مَنْ يَرْحَمُ الْفَقِيرَ يُقْرِضُ الرَّبَّ، وَعَنْ مَعْرُوفِهِ يُجَازِيهِ[٢].

٣. لَيْسَ مِنْ الْحَقِّ أَنْ يُهَانَ الْفَقِيرُ الْعَاقِل، وَلَا مِن اللَّائِقِ أَنْ يُكْرَمُ الرَّجُلُ الخَاطِئ[٣].

٤. عيش الفقير تحت سقف من ألواح، خير من الأطعمة الفاخرة في دار الغربة[٤].

٥. تَصَدَّق مِن مالَك، ولا تُحَوِّل وجهك عن فقير؛ وحينئذٍ فوجه الرب لا يُحَوَّل عنك[٥].

---

(١) سفر المزامير (١: ٤١).

(المزامير): تُعرف في اللغة العبرية باسم (تهاليل)، والتي تعني في اللغة العربية بـ (تسابيح)، وهي عبارة عن مجموعة من الأناشيد كتبت في تسبيح وتمجيد الله وحده. وموجودة في الكتاب المقدس (العهد القديم)، وتنسب لنبي الله داود عليه السلام؛ لأنه كتب معظمها؛ إلا أنها ليست كلها له.

(٢) سفر الأمثال (١٩: ١٧).

(الأمثال) هي مجموعة من الحكم التي تتحدث عن المعاملات الاجتماعية، والعلاقات الأسرية، والتصرفات الإنسانية، ونحو ذلك، من خلال الأمثال الواقعية. وتنسب هذه الأمثال لسليمان الحكيم.

(٣) سفر يشوع بن سيراخ (١٠: ٢٦).

(يشوع بن سيراخ) هو أحد حكماء اليهود ممن درسوا التوراة، عاش في أورشليم في القرن الثالث قبل الميلاد، وكان كاتبًا ومعلمًا وذا ثقافة عالية، اكتسب الحكمة بسبب أسفاره واختباراته ودراسة الكتب المقدسة، فكتب فيها. كرس حياته لدراسة الناموس والأنبياء وغيرها من أسفار الحكماء.

(٤) سفر يشوع بن سيراخ (٢٩: ٢٩).

(٥) سفر طوبيا (٤: ٧).

(طوبيا) في اللغة العبرية مكونة من جزئين: (طوب ـ ياه). وتعني في اللغة العربية: الله طيب، وهو أحد أسفار الكتاب المقدس لدى المسيحيين؛ لكن لا تعترف به الطوائف البروتستانتية، وليس مقدسًا لدى الديانة اليهودية.

٦. زِينَةُ الإِنْسَانِ مَعْرُوفَهُ، وَالْفَقِيرُ خَيْرٌ مِنَ الْكَذُوبِ[١].

٧. لَا تَسْلُبِ الْفَقِيرَ لِكَوْنِهِ فَقِيرًا، وَلَا تَسْحَقِ الْمِسْكِينَ فِي الْبَابِ؛ لأَنَّ الرَّبَّ يُقِيمُ دَعْوَاهُمْ، وَيَسْلُبُ سَالِبِي أَنْفُسِهِمْ[٢].

٨. أَعْطِهِ وَلا يَسُوءُ قَلبُكَ عِنْدَمَا تُعْطِيهِ؛ لأَنَّهُ بِسَبَبِ هَذَا الأَمْرِ يُبَارِكُكَ الرَّبُّ إِلهُكَ فِي كُلِّ أَعْمَالِكَ وَجَمِيعِ مَا تَمْتَدُّ إِلَيْهِ يَدُكَ[٣].

٩. مَنْ يُعْطِي الْفَقِيرَ لَا يَحْتَاجُ[٤].

١٠. الْفَقِيرُ يُكْرَمُ مِنْ أَجْلِ عَمَلِهِ[٥].

١١. تَبْسُطُ كَفَّيْهَا لِلْفَقِيرِ، وَتَمُدُّ يَدَيْهَا إِلَى الْمِسْكِينِ[٦].

١٢. ظَالِمُ الْفَقِيرِ يُعَيِّرُ خَالِقَهُ...[٧].

١٣. مَنْ يَسُدُّ أُذُنَيْهِ عَنْ صُرَاخِ الْمِسْكِينِ فَهُوَ أَيْضاً يَصْرُخُ وَلَا يُسْتَجَابُ[٨].

١٤. مَنْ يُعْطِي الْفَقِيرَ لَا يَحْتَاجُ، وَلِمَنْ يَحْجِبُ عَنْهُ عَيْنَيْهِ لَعَنَاتٌ كَثِيرَةٌ[٩].

١٥. افتح يدك لأخيك المسكين والفقير في أرضك[١٠].

---

(١) سفر الأمثال (١٩: ٢٢).

(٢) سفر الأمثال (٢٢: ٢٢، ٢٣).

(٣) سفر التثنية (١٥: ١٠).

(التثنية) هو أحد الأسفار المقدسة لدى الديانة اليهودية والمسيحية، كما يعتبر من الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى، ويشكل جزءًا من التوراة، وهذا السفر يحتوي على وصايا وأحكام تشريعية وفرائض مكملة للشريعة اليهودية.

(٤) سفر الأمثال (٢٨: ٢٧).

(٥) سفر يشوع بن سيراخ (١٠: ٣٣).

(٦) سفر الأمثال (٣١: ٢٠).

(٧) سفر الأمثال (١٤: ٣١).

(٨) سفر الأمثال (٢١: ١٣).

(٩) سفر الأمثال (٢٨: ٢٧).

(١٠)سفر التثنية، إصحاح ١٥: ١٠، ١١.

١٦. اقضوا للذليل واليتيم، أنصفوا المسكين والبائس، نجو الفقير والمسكين[١].

١٧. ظالم الفقير يغير خالقه ويمجده راحم المسكين.

١٨. من يرحم الفقير يقرض الرب، وعن معروفه يجازيه.

- **مصطلح الخير في التوراة:**

١. الخير والشر، الحياة والموت، الفقر والغنى؛ من عند الرب[٢].

٢. حِدْ عَنِ الشَّرِّ، وَاصْنَعِ الْخَيْرَ. اطْلُبِ السَّلَامَةَ، وَاسْعَ وَرَاءَهَا[٣].

٣. مَنْ يَطْلُبُ الْخَيْرَ يَلْتَمِسُ الرِّضَا، وَمَنْ يَطْلُبُ الشَّرَّ فَالشَّرُّ يَأْتِيهِ[٤].

٤. لَا تَحْسِدْ أَهْلَ الشَّرِّ، وَلَا تَشْتَهِ أَنْ تَكُونَ مَعَهُمْ[٥].

٥. لَا تَمْنَعِ الْخَيْرَ عَنْ أَهْلِهِ، حِينَ يَكُونُ فِي طَاقَةِ يَدِكَ أَنْ تَفْعَلَهُ[٦].

- **مصطلح الإحسان في التوراة:**

١. أَحْسِنُوا... وَأَنْتُمْ لَا تَرْجُونَ شَيْئًا، فَيَكُونَ أَجْرُكُمْ عَظِيمًا وَتَكُونُوا بَنِي الْعَلِيِّ، فَإِنَّهُ مُنْعِمٌ عَلَى غَيْرِ الشَّاكِرِينَ وَالْأَشْرَارِ[٧].

٢. كُلُّ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُم افْعَلُوا هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهِمْ، لِأَنَّ هَذَا هُوَ النَّامُوسُ وَالْأَنْبِيَاءُ[٨].

---

(١) مزامير، إصحاح ٧٢: ٤.

(٢) سفر يشوع بن سيراخ (١١: ١٤).

(٣) سفر المزامير (٣٤: ١٤).

(٤) سفر الأمثال (١١: ٢٧).

(٥) سفر الأمثال (٢٤: ١).

(٦) سفر الأمثال (٣: ٢٧).

(٧) إنجيل لوقا: ٦: ٣٥.

(٨) إنجيل متى ٧: ١٢. وانظر: لوقا ٦: ٣١.

نماذج من العمل الخيري اليهودي

جاءت الأديان السماوية جميعها تدعو إلى الإخاء، والتعاون، والمساواة، والرحمة بين البشر، فهي تنادي باحترام الإنسان لأخيه الإنسان ولكرامته، وجاءت تنظم علاقات الأفراد فيما بينهم؛ ليسود الاستقرار النفسي والاجتماعي. كما جاءت بمبادئ التكافل والتضامن الاجتماعي، وبينت مظاهر الرعاية التي تدعو إلى الروابط الإنسانية، واعتبرت المعاملة بالمعروف والابتعاد عن المنكرات تجاه البشر تقربًا إلى الله.

وتعتبر الشريعة الموسوية من أقدم الشرائع السماوية التي عرفت اليهود مبادئ العدل والمساواة؛ بفضل وصايا موسى العشر، وبفضل التعاليم الدينية التي تحدد واجباتهم نحو الله والناس.

فعرف اليهود الإحسان الحقيقي؛ فكانوا يتصدقون يوميًا بالطعام، وكان رب العائلة يتنازل عن عُشر محصوله للرهبان والأغراب واليتامى والأرامل وللفقراء. كما اهتمت تلك الشريعة بتنظيم المنح المالي وغيره، واعتبرت ذلك جزءًا من العمل المقدس.

ومن أمثلة ذلك: نبي الله موسى عليه السلام في قصه ماء مدين، ووجود فتاتين تريدان السقي؛ ولكنهما تنتظران الرعاء؛ حتى ينتهوا من السقي، فسقى لهما،

وقضى حاجتهما، فأخبرنا المولى ﷻ ما دار بينهما بقوله: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۞ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۞ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ۞ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [القصص: ٢٣ ـ ٢٨].

أيضًا ما ورد في قصة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام في تلك الرحلة التي قص الله علينا تفاصيلها في القرآن، وهي مثال حي للعمل الخيري التطوعي، عندما دخل موسى بصحبة الخضر على أهل القرية، فأبوا أن يضيفوهما؛ ولكن الله أطلع الخضر على أمور تحير ذوي العقول والألباب: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۞ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۞ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۞ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۞ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۞ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۞ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف: ٧٧ ـ ٨٣].

فبناء موسى للجدار تطوعًا من غير أجرة، وقبل ذلك مساعدته لأصحاب السفينة بطريقة في ظاهرها الظلم، وفي حقيقتها الخير.

وتتمثل أوجه المنح الخيري في اليهودية على رعاية الفقراء والمحتاجين، واليتامى والأرامل، وتعتبر ذلك حقًا واجبًا للفقراء على الأغنياء. كما اهتموا بالتعلم؛ حيث أسسوا المدارس، ووضعوا الأسس والقواعد للتعليم، وكان المعلم يتمتع بمركز مرموق.

فنجد من خلال ما مر.. أن نصوص التوراة والوصايا العشر قد اهتمت بجانب العمل الخيري؛ لتؤكد أن العمل الخيري متأصل فيها.

المبحث الرابع

مقارنة واستنتاج
في العمل الخيري بين الديانات الثلاث

مدخل:

الإسلام هو الدين الوحيد الباقي على أصله الرباني، وما خلافه من الديانات الأخرى السماوية، قد دخلها التحريف، وشابها التبديل، وأضيفت إليها شروح وتصورات، وتأويلات وزيادات، أدمجت في صلبها، فغيرت حقيقتها الربانية إلى التصورات البشرية. وبقي الإسلام ـ وحده ـ محفوظًا بحفظ الله الله، لم يشبه نوع كدر، ولم يتلبس به تدخل بشر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وعقد أي مقارنة بين نص رباني، وآخر محرف، هو إجحاف.

ما فتئ العمل الخيري في الأديان الثلاثة محكومًا بضوابط تلزم فاعليته بالنشاط داخل البلد الواحد، أو داخل القومية الواحدة، أو في أقصى الحالات داخل مجال الدين الجامع؛ لكن أن يتخطى عمل الإحسان حدود الاعتقاد إلى اتخاذ ملمح كوني، فهو ما لم يتشهد تطورًا حقيقيًا بعد، جراء العديد من مظاهر الريبة التي تحوم حوله؛ إذ تبقى كل عملية انفتاح على الآخر محكومة بأهداف ومقاصد، يرنو الدين الدعوي أو المبشِّر عبرها إلى توسيع رقعة أتباعه؛ وذلك باعتماد الإحسان سبيلًا للاقتناص، وليس باعتباره نابعًا من الالتزام بهمّ إنساني نبيل.

طبيعية العمل الخيري
في الإسلام والتعاليم المسيحية واليهودية

أولًا: من حيث المبادئ:

من خلال ما جاء في نصوص الديانات الثلاث، يتبين لنا تلك المبادئ والضوابط الخاصة بكل ديانة؛ وذلك على النحو التالي:

١) المبادئ العامة في الإنفاق:

- يتميز **الدين الإسلامي** بالعديد من المبادئ السامية، والتي منها:

١ ـ مبدأ الشمولية: جاء الدين الإسلامي لينظم الحياة البشرية دونما استثناء، ورفع الفروق بين الأفراد؛ إلا بالعمل الصالح؛ وذلك لتحقيق النفع للإنسان؛ ضمانة لعزته، وصونًا لكرامته، في الدنيا والآخرة، وهو يحقق علاجًا لكثير من حاجيات الإنسان في مجتمعه، على أساس أن الإنسان مأمور شرعًا بالإنفاق للتوسعة، على من هو في حاجة لذلك، ولرفع الضيق والحرج والمشقة عنه، ولتهيئة سبل الراحة والطمأنينة للمسلمين، وموعود مقابل ذلك بالأجر الجزيل من الله العظيم ﷻ، قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وقال سبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]. وجعل الخير يشمل المسلم وغير المسلم؛ بل حتى الحيوانات

والجمادات داخلة في هذه الخيرية، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ...﴾ [آل عمران: ١١٠]، ويقول ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

ويقول ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما وجد عمر حُلَّة استبرق تُباع في السُّوق، فأتى بها رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، ابْتَع هذه الحُلَّة، فتجمَّل بها للعيد وللوفود. فقال رسول الله ﷺ: «إنَّما هذِهِ لِبَاسُ مَنْ لَا خَلَاقَ لَه»، أو: «إنَّما يَلْبَسُ هذِهِ مَنْ لَا خَلَاقَ لَه». فَلَبِث ما شاء الله، ثم أَرْسل إليه النبي ﷺ بجُبَّةِ ديباج، فأقبل بها عمر حتى أتى بها رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، قلت: إنما هذه لباس من لا خلاق له، أو إنما يلبس هذه من لا خلاق له، ثم أرسلت إليَّ بهذه، فقال: «تَبِيعُهَا أوْ تُصِيبُ بهَا بَعْضَ حَاجَتِكَ»[(١)]. فأرسل بها عمر إلى أخٍ من أهل مكة قبل أن يسلم. فقوله: «قبل أن يسلم» هو محل الشاهد من الحديث.

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمت على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ، فاستفتيت رسول الله ﷺ، قلت: إني أمي قدمت وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: «نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ»[(٢)]. فقوله ﷺ: «صِلِي أُمَّكِ» يشمل كل العطايا.

٢ ـ مبدأ المساواة والعدالة الاجتماعية: حيث حرص الإسلام على المساواة والعدالة بين جميع البشر في الحقوق والواجبات والمسؤوليات، قال تعالى:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب الحرير للنساء (رقم ٣٠٥٤)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم لبس الحرير (رقم ٢٠٦٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها، باب الهدية للمشركين... (رقم ٢٦١٩، ٢٦٢٠).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ [الحجرات: ١٣].

٣ ـ مبدأ التعاون: قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]، وقال ﷺ: «المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»[(١)].

٤ ـ مبدأ التكافل الاجتماعي: إن من القيم العظيمة في الإسلام مبدأ التكافل الاجتماعي بأنواعه، عامًا وخاصًا؛ لأن فيه تحقيقًا لمصلحة الأمة، وتوفيرًا لاحتياجات أفرادها، ودعمًا لتطويرها ورقيها؛ وذلك بما يوفره من دعم لمتطلباتها وآمالها، وكفالة المحتاج من خلال أسرته، والدولة، ومن يقدر على ذلك.

٥ ـ مبدأ الدافع والحافز: وهو ما يحمل على الفعل من غرائز وميول وجدانيّة. وفي المجال الخيري يظهر ذلك في قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩]. فالعامل في الخير لا يبتغي الأجر من الناس، ولا يبتغي العوض منهم؛ إنما يتطلع إلى رضى الله ﷻ، وما أعده سبحانه في الدار الآخرة. وهذا في حد ذاته يجعل الإنسان يجتهد في العمل الصالح، ويحرص أن يكون عمله خالصًا لوجهه الكريم.

أيضًا يأتي الدافع من خلال المسابقة والمسارعة في فعل الخير، قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [المائدة: ٤٨]، فهذا نداء بالتدافع نحو الخير بعمومه، والحث على النفير الجمعي الثابت بصيغة الجمع في هذا النداء: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ﴾؛ وذلك قال بعض العلماء: الصدقات مندوبة بالجزء والفرد، وواجبة بالكل والكافة[(٢)].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب نصر المظلوم (رقم ٢٤٤٦)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (رقم ٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) قال الشاطبي رحمه الله: «إذا كان الفعلُ مندوبًا بالجُزء، كان واجبًا بالكُلِّ؛ كالأذان في المساجد الجوامع أو غيرها، وصلاة الجماعة، وصلاة العيدين، وصدقة التطوّع، والنكاح، والوتر، =

٦ ـ **مبدأ التعددية والتنوع**: العمل الخيري ليس له صورة موحدة، أو شكل محدد؛ بل تتعدد صوره وأشكاله باعتبار ما يقصد له، وهذا واضح في نصوص الكتاب والسنة التي وردت معنا سلفًا، ويتضح جليًا في ممارسات المنفقين عبر التاريخ، فتارة يكون إغاثيًا، وتارة يكون تعليميًا؛ كإقامة المدارس والجامعات والمعاهد، وتارة يكون صحيًا؛ كإقامة المستشفيات أو علاج المرضى وتوفير الدواء، وتارة يكون اجتماعيًا؛ بإقامة مراكز الاستشارات الأسرية وتقديم الحلول ودراسة الظواهر التي تحتاج إلى دراسة، إلى غير ذلك من الاشكال والأنواع.

ويتنوع كذلك باعتبار المواسم، فنجد الإنفاق في نهاية رمضان تأتي زكاة الفطر، وقبلها في رمضان نجد الإقبال على الإفطار؛ حيث يتنوع العطاء، فمنه ما هو إفطار يومي، ومنه ما هو إغاثة للأسر الفقيرة لسد حاجتها طيلة الشهر. وبعد ذلك يأتي موسم الهدي والأضاحي؛ فالأضحية يهدى قسم منها، والهدي الذي يسد حاجة الآلاف من فقراء مكة؛ بل ربما اكتفت كثير من الأسر بهم لمدة طويلة بسبب لحوم الهدي والأضاحي.

إذًا.. هذا التنوع والتعدد يحقق قيم التكافل الاجتماعي بين الأُمَّة، ويوجد التوازن بين المجتمع، ويعدّ من أهم العوامل في تنظيم الحياة بمنهج حميد، يرفع من مكانة الفقير، ويقوي الضعيف، ويعين العاجز، ويحفظ حياة المعدم، من غير مضرَّة بالغني، ولا ظلم يلحق بالقوي؛ وإنما يحفظ لكلٍّ حقه بغاية الحكمة والعدل، فتحصل بذلك المودة، وتسود الأخوة، ويعم الاستقرار، وتتيسّر سبل التعاون والتعايش بنفوس راضية مطمئنة.

٧ ـ **مبدأ الضمانة والحماية**: معلوم أن الحقوق ثلاثة: حقوق الله تعالى، وحقوق العباد، والحقوق المشتركة بين الله والعباد. وأعمال الخير العام هي من

= والفجر، والعُمرة، وسائر النوافل والرواتب؛ فإنها مندوبٌ إليها بالجُزء، ولو فُرض تركها جُملة لجُرِّح التارك لها». [الموافقات (١/ ٢١١)].

النوع الثالث؛ أي الحقوق المشتركة، التي تحقق الضمان الكامل الذي طلبه المولى ﷻ من المجتمع في التجارة الرابحة للجميع ومن جانب الجميع.

والإنسانُ مؤتمنٌ بمقتضى ميثاق الأمانة المُنشأة بينه وبين الله ﷻ. وإذا كان المعروف أو الخير يأتي بالمبادرة الفردية والجماعية؛ فإنَّ السلطة العامة هي التي ـ بمقتضى الصلاحيات المعطاة لها ـ تقوم على دفع الإثم والعدوان من جهة، وتؤَمِّن حسن الإدارة والاستثمار للخير المقدّم والمتقدّم لحماية البقاء والاستمرار والتنمية بمقتضى التعاون الذي يحقق الأمن والكفاية من جهة أخرى.

إذًا.. فالضمان من شرع الله ﷻ، والحماية من المستفيدين، والذي تقوم به الجماعة وإدارة الشأن العام معًا بضمان الله تعالى.

• أما **الديانة المسيحية** فمبادئها متمثلة فيما يلي:

١ ـ مبدأ الإنسانية: جاءت تعاليم عيسى عليه السلام تحث على الرحمة والعطف على الضعفاء والمساكين والمحتاجين، وتدعو إلى التعاون والتآزر بين أفراد المجتمع؛ للعيش في حياة سعيدة وأفضل: «طوبى للرحماء لأنهم يرحمون»، «بيعوا أموالكم وأعطوا الصدقة»، «إن أردت أن تكون كاملًا؛ فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنزًا في السماء».

٢ ـ مبدأ العدالة الاجتماعية: وهذا ظاهر جلي في نصوص الانجيل

٣ ـ مبدأ الطائفية: من المعلوم أن العاملين في المجالات الخيرية من المسيحيين لا يترددون بالإعلان عن الجانب الديني الذي ينتمون إليه، فنجد الجهات المسيحية الخيرية مثلا تعرف بنفسها بأنها منظمة إغاثية من الطائفة الإنجيلية المسيحية، تقوم بتقديم مساعدات كجزء من العمل المسيحي، وترفع شعارها: المساعدة باسم المسيح.

٤ ـ مبدأ التبشير: دبَّت تحولات في اللاهوت الكنسيّ (الإكليزيولوجيا) منذ الفاتيكان الثاني (١٩٦٢ ـ ١٩٦٥)، أدخلت تحويرًا عميقًا على فعل الإحسان، المستند إلى مفهوم «العقيدة الاجتماعية». كونه ليس طارئًا، وليس محصورًا بفترة محددة من فترات التاريخ؛ بل هو بُعْد مكوّن للكنيسة ذاتها، كما ضبطته العناصر الثلاثة التالية:

ـ كلمة الرب.

ـ الليتورجيا (احتفالات الأسرار).

ـ شهادة الإحسان المتجلّية في فعل الخدمة في الحياة اليومية.

غير أن ذلك الفعل ارتبط مقصده أساسًا بالأنْجَلَة، وإن راج القول: إن الكنيسة تعرض البشارة ولا تمليها على الناس، تاركة لهم الخيرة في قبولها أو رفضها[١]. غير أن الكنيسة في الواقع ليست جهازًا يسدي خدمات تبعًا لبرامج محددة، وليست هيئة خاضعة لرقابة السوق؛ بل هي مؤسّسة ذات رسالة تتلخّص بسرّ حضور المسيح في تاريخ الإنسان[٢]، من هنا تلازمَ فعل الخير لديها بقصد ديني خالص.

وإن يكن عمل الجمعيات والمنظمات الطوعية وغير الحكومية جاريًا على مستوي أفقي، فإن الإحسان المسيحي يفوقها شمولًا، باعتباره يمتد على مستويين أفقي وعمودي، من خلال إسداء المعونة والتبشير برسالة الإنجيل في آنٍ واحد. فلا يقنع الإحسان المسيحي بمهمّة معالجة أدواء المجتمع بل يتجاوزها باعتبار الكنيسة سرّ الاتحاد الخفي مع الرب ووحدة كافة البشر[٣].

---

(١) Caritas Itliana, Per una carita aperta al mondo, Edizioni Dhoniane, Bologna 2003, p. 33.

(٢) Ibidem, p. 12.

(٣) Ibidem, pp. 5-6.

• أما **الديانة اليهودية** فإنها كهنوتية[١]، لا تخدم إلا نفسها، ولا ترى أحدًا سواها، والمبادئ التي سارت عليها في العمل الخيري تدل على ذلك، وهي على النحو التالي:

١ ـ مبدأ التمييز (العنصرية)[٢]: جاءت التعاليم اليهودية بشأن مساعدة الفقراء وذوي الحاجة إنسانية النزعة، وعامة لجميع البشر؛ إلا أن اليهود بعد تحريفهم الكلم عن مواضعه، وتبديلهم لنصوص كتابهم، قصروا هذه المساعدة على أبناء دينهم، ومن كان من فصيلتهم، ومن تلك النصوص: «لا تقرض أخاك بربا: ربا فضة، أو ربا طعام، أو ربا شيء مما يقر بربا، للأجنبي تُقرض بربا؛ ولكن لأخيك لا تقرض بربا»، «فمتى بعت صاحبك، أو اشتريت من يد صاحبك، فلا يغبن أحدكم أخاه، فلا يغبن أحدكم صاحبه؛ بل إخش إلهك»[٣]، «إذا افتقر أخوك، وقصرتْ يده عندك، فأعضده، غريبًا أو مستوطنًا، فيعيش معك، لا تأخذ منه ربًا ولا مرابحة»[٤]؛ إلَّا أنَّ صاحبك هو اليهودي. أما غير

---

(١) **كهنوتية** يعني: أنَّ كهنة اليهود قاموا بوضع تشريعاتها من عند أنفسهم، وليست هي الشريعة المنزلة على موسى عليه السلام؛ لأنهم حاولوا التخلص من قيود التشريعات، والتحايل عليها، بأية وسيلة؛ لتعطيل الشرائع، وتفريغها من محتواها التربوي والإنساني.
وهو الأمر الذي أكَّدته نصوص التوراة نفسها، من أنَّ اليهود لم يقبلوا شرائع موسى عليه السلام، وقالوا له ـ كما يذكر الطبري وابن كثير ـ: لن نقبل حتى نعلم ما جاء فيها، من فرائض وحدود، فإن كانت يسيرة قبلناها. فراجعوه مرارًا، فأوحى الله إلى الجبل، فانقلع، وارتفع إلى السماء. فقال لهم موسى عليه السلام، يقول لكم الرب: إن لم تقبلوا التوراة بما فيها، لأرمينَّكم بهذا الجبل، فسجد اليهود على حاجبهم الأيسر، ونظروا إلى الجبل بالعين اليمنى؛ ولذلك فليس في الأرض يهودي إلا ويسجد على حاجبه الأيسر، وهي سجدة اليهود إلى اليوم، ويقولون: هذه السجدة هي التي رفعت عنَّا بها العقوبة. [انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٢١٩)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٠)].

(٢) **العنصرية** تعني: الميل لبني الجنس فقط دون غيرهم.

(٣) سفر اللاويين (٢٥: ١٤ ـ ١٨).

(٤) سفر اللاويين (٢٥: ٣٥ ـ ٣٨).

اليهودي فغشَّه قربة[١]. والأخ المشار إليه في النص، هو اليهودي أيضًا. وقد فسَّر علماء اليهود عبارة «غريبًا أو مستوطنًا» بقولهم: سواء كان يهوديًا في الأصل، أو المتهودين المتغربين في أرضك[٢]. مع أن هناك نصوص أخرى ـ وقد سبق أن ذكرنا بعضًا منها ـ تحث على الاهتمام بالفقراء، ورعايتهم، والعطف عليهم، وإعانتهم.

٢ ـ مبدأ المنفعة: يحرص اليهود على المال كحرصهم على حياتهم، فهم يضحون من أجله بكل القيم، والمبادئ، والمثل؛ من أجل الحصول على المنافع المالية، ويظنون أن من أوتي المال؛ فقد أوتي السيادة والعزة والسعادة؛ لذلك نراهم لا يدخلون في أي مجال من المجالات الخيرية؛ إلا إن كان من ورائها منفعة مادية، أو شخصية.

٣ ـ مبدأ الطائفية: أيضًا اليهود لا يترددون في إعلان نشاطهم الخيري مصاحبًا بالديانة اليهودية، ونادرًا ما يكون اسم الديانة وما يرتبط بها ظاهرًا في المسمى العام للجهة الخيرية.

إذا نظرنا إلى بالعمل الخيري والتطوعي عند المسيحية واليهودية نجد أنها انطلقت في بدايتها من دوافع ـ كما هو واضح ـ دينية عقدية؛ إلا أنه نظرًا لتحولاتهم الاجتماعية غاب المنحى الديني في العمل الخيري فترات طويلة.. ولكن بدأت المناداة مؤخرًا، والمطالبة بعودة الدين، والاهتمام بالجوانب الروحية في الخدمة الاجتماعية، والأعمال الخيرية الأهلية، في الغرب عمومًا، وبالأخص في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا.

والإسلام يختلف عن الديانتين (المسيحية واليهودية) في أن المساعدات

---

(١) انظر: عبد السميع، علي: **الإسلام واليهودية ـ دراسة مقارنة ـ** (ص٥٠٧).

(٢) جرجيس، القس نجيب: **تفسير سفر اللاويين** (ص٣٤٨).

الإنسانية تعد من مبادئه السامية، ليس فقط للمسلمين فحسب؛ بل ولغير المسلمين، ولكن هذا التعدي لنفع غير المسلم له ضوابط شرعية، وشروط مرعية، ذكرها الفقهاء في مواطنها؛ انطلاقًا من عموم قول الله تعالى: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، وقوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

وكما هو مبثوث في كتب التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية أن النبي ﷺ أرسل معونات مالية لفقراء قريش في مكة لما بلغه ما وقع بهم من شدة وحاجة ولم يمنعه ذلك أنهم قوم كفار...

٢) الضوابط الخاصة بالإنفاق:

١ ـ طبيعة الإنفاق:

الإنفاق له ركنان أساسيان، هما:

ـ المال المعد للإنفاق؛ سواء كان نقدًا أو عينًا.

ـ الحاجة المطلوب إشباعها بهذا المال، سواء كانت حاجة جماعية، أو فردية.

وبالنظر في النصوص المسيحية التي تدعو إلى فعل الخير، نجد أنها جاءت عامة مجملة في أمر الإنفاق، مقتصرة فقط على مجرد الحث على التصدق والإحسان والعطاء.

وهذا بخلاف النصوص الإسلامية التي تميزت بالدقة والتفصيل والبيان في عملية الإنفاق، وبيان أوجه الإنفاق؛ من زكاة أو صدقة، وطريقة أدائهما، والفئات المستهدفة منهما، بارزة الخصائص، مفصلة المظاهر.

فالـزكاة تُعد المصـدر الأول من مصـادر العمل الخيري في الإسـلام، وهي تكليف مالي عقائدي، يدخل في صميم الأعمال الإيمانية التي يقوم عليها إسلام المرء، وهي الفريضة الواجبة بعد الصلاة مباشـرة، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقـرة: ١١٠]، وهـي طهرة لنفس المسلم ولماله، كما أنها أداة للنمو الاقتصادي، والتكافل الاجتماعي.

وإذا تأملنـا فريضة الزكاة مـن حيث أسـعارها (مقدار الـزكاة)، ومن حيث وعاءها (الأموال التي تجب فيها الزكاة)؛ فإننا نلاحظ بأنها فريضة مالية تشـمل الثروات النامية جميعها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجد أنها تمثل نسـبًا فعالة ومجدية تسهم في تحقيق التنمية المجتمعية.

أما الصدقة فلها وضع آخر، عامة شاملة، قال رسول الله ﷺ: «كل سُلامي مـن الناس عليـه صدقة، كل يـوم تطلع فيه الشـمس يعدل بيـن الاثنين صدقة، ويُعين الرجل علـى دابته فيحمل عليها، أو يرفع عليهـا متاعه، صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة». وقال ﷺ: «من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له».

أيضًا طبيعة الإنفاق في الديانة المسيحية نجدها مبنية على الزهد والتشقف، والتخلـي عـن الممتلكات، وهنـاك طوائف سـارت على هـذا النهـج، متأثرين بالمسـيح عليه السلام تأثـرًا شـديدًا فـي هـذا الأمـر، ويمارسـون نشـاطهم خدمـة للمسيح عليه السلام والكنيسة[1].

(١) من هـؤلاء: مؤسـس طائفـة الولدانيـون (The Waldensians) والـدو (Waldo) (ت: ١٢١٧م)، وجماعته التي تأثرت به، وكثير من المتصوفين الذين برزوا في فترة الإصلاح الديني، والذين انسحبوا من الوضع المتردي للكنيسة؛ كالقديسـة تيريزا (Teresa of Avilla) ١٥١٥ ـ ١٥٨٥، والرهبان الكبشيون (Freres mineurs capucins) وغيرهم.

ورد في الإنجيل: أن شابًا غنيًا، جاء إلى المسيح عليه السلام يسترشده لأفضل الأعمال الصالحة:

«أيّها المُعَلّمُ، ماذا أعمَلُ مِنَ الصّلاحِ لأنالَ الحَياةَ الأبديّةَ؟

فأجابَهُ يَسوعُ: «لِماذا تَسألُني عمّا هوَ صالِحٌ؟ لا صالِحَ إلّا واحدٌ. إذا أَرَدْتَ أنْ تَدخُلَ الحياةَ فَاعمَلْ بالوصايا».

فقالَ لَه: أيّ وصايا؟

فقالَ يَسوعُ: «لا تَقتُلْ، لا تَزْنِ، لا تَسرِقْ، لا تَشهَدْ بالزّورِ، أكرِمْ أباكَ وأُمّكَ، أحِبّ قريبَكَ مِثلما تُحبّ نَفسَكَ».

فقالَ لَه الشّابُ: عَمِلتُ بِهذِهِ الوصايا كُلّها، فما يَعوزُني؟

أجابَهُ يَسوعُ: «إذا أردتَ أنْ تكونَ كامِلاً، فَاذهَبْ وبعْ ما تملِكُهُ ووَزّعْ ثمَنَهُ على الفُقراءِ، فيكونَ لكَ كنزٌ في السّماواتِ، وتعالَ اَتْبَعْني!»»[1].

هذه القصة تكررت في الأناجيل الثلاثة: مرتين في (متى ولوقا) بعنوان: «الشاب الغني»، ومرة واحدة في إنجيل مرقص بعنوان: «الرجل الغني».

والغاية من إيراد تلك القصة: هو بيان.

وهذا بخلاف ما يدعو إليه **الإسلام** من الحث على التوسط والاعتدال في الإنفاق في سبيل الله تعالى، وليس التصدق بمال الإنسان كله، وهذا المنهج هو الأصوب والأكثر أثرًا في دفع الناس إلى المساهمة في أعمال البر والخير؛ إذ يجعل الإنسان يساهم بقدر استطاعته من غير تكلف؛ مع المداومة على هذا الأمر بلا تعنت، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقال سبحانه:

(١) متى، الإصحاح: ١٩، ومرقص: الإصحاح: ١٠: ١٧ ـ ٣١، ولوقا: الإصحاح: ١٨: ١٨ ـ ٣٠.

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ [الفرقان: ٦٧]؛ إلا أن النبي ﷺ لم يُنكر على كبار الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ أمثال أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما إنفاق كل ما يملكونه من أموال أو نصفها. قال الإمام القرطبي معلقًا على هذه الاستثناءات: «وكان كثير من الصحابة ينفقون في سبيل الله جميع أموالهم، فلم يعنفهم ﷺ، ولم ينكر عليهم؛ لصحة يقينهم، وشدة بصائرهم»(١).

وبالنظر في النصوص القرآنية والإنجيلية في مسألة الإنفاق نجد أن هناك نوع اتفاق في أن الدرجات العلى في الإنفاق في سبيل الله لا ينالها إلا الذي ينفق مما يحب، وأن الذي ينفق في حالة الاحتياج والشدة أكثر أجرًا من الأغنياء الذين ينفقون من أموالهم الوافرة.

فقد ورد في ذلك قول المسيح عليه السلام للمرأة الأرملة المسكينة لما رآها تلقي درهمين في صندوق الهيكل مع الأغنياء: «الحقَّ أقولُ لكُم: هذِهِ الأرمَلةُ الفَقيرةُ ألقَت أكثَرَ مِمّا ألقاهُ الآخَرونَ كُلُّهُم. فَهُم ألقَوا في الصُّندوقِ مِنَ الفائِضِ عَنْ حاجاتِهِم. وأمَّا هيَ، فمِنْ حاجَتِها ألقَت كُلَّ ما تَملِكُ لمَعيشَتِها»(٢).

وفي القرآن ما يدل على هذا المعنى، من ذلك قوله عز وجل: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴾ [آل عمران: ٩٢]. قال عطاء في تفسير هذه الآية: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ ﴾، «أي: شرف الدين والتقوى؛ حتى تتصدقوا وأنتم أصحاء أشحاء»(٣).

---

(١) القرطبي، أبو عبد الله: **الجامع لأحكام القرآن** (١٠/ ٢٥٠)، دار الكتب المصرية ـ القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

(٢) لوقا، الإصحاح: ٢١: ١ ـ ٤.

(٣) البغوي،: **معالم التنزيل** (٣/ ٦٦)، دار السلام للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

وقد أثنى الله ﷻ عن هذا الصنف من المنفقين في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

وقد بوب الإمام مسلم في صحيحه بابًا خاصًا في هذا الموضوع، سماه: «باب: بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح»(١).

٢ ـ شروط الإنفاق:

الجزاء والمكافئة على الأعمال الخيرية والاجتماعية في الأديان الثلاثة لا تكون إلا إذا توفر فيها شروطًا، أهمها:

١ ـ أن تكون خالصة لوجه الله تعالى: فيجب على المتصدقين أن لا ينتظروا المقابل من الآخرين؛ وإنما عليهم أن يقصدوا بأعمالهم أساسًا أولئك الذين لا يقدرون على المكافئة أصلًا؛ وإلا فسدت أعمالهم، كما جاء في قول المسيح لصاحب دَعوة: «إذا أقَمتَ وَليمَةَ غَداءٍ أو عَشاءٍ، فلا تَدْعُ إلَيها أصدِقاءَكَ ولا إخوانَكَ ولا أقرباءَكَ ولا جيرانَكَ الأغنياءَ، لِئَلَّا يُبادِلوكَ الدَّعوةَ، فتَنالَ المُكافأةَ على عَمَلِكَ. بل إذا أقَمتَ وَليمةً، فادْعُ الفُقَراءَ والمُشَوَّهينَ والعُرْجَ والعُميانَ. وهَنيئًا لكَ إذا فَعَلتَ لأنَّهُم لا يَقدِرونَ أنْ يُكافِئوكَ، فتُكافَأَ في قيامَةِ الأبرارِ»(٢).

وفي إنجيل لوقا يقول: «وأَحسِنوا وأَقرِضوا غَيرَ راجينَ عِوَضاً، فيَكونَ أَجرُكم عَظيماً»(٣).

وفي إنجيل متى: «فإذا أحسَنْتَ إلى أحدٍ، فلا تُطَبِّلْ ولا تُزمِّرْ مِثلَما يَعمَلُ المُراؤونَ في المجامعِ والشَّوارعِ حتّى يَمدَحَهُمُ النَّاسُ. الحقَّ أقولُ لكُم: هؤلاءِ

(١) مسلم، أبو الحسين: **الجامع الصحيح** (٢/ ٧١٦)، كتاب الزكاة، باب: بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح.
(٢) لوقا، الإصحاح: ١٤: ١٣، ١٤.
(٣) لوقا، الإصحاح: ٦: ٣٥.

أخَـذوا أجرَهُـم. أمَّا أنـتَ، فإذا أحسـنتَ إلى أحـدٍ فلا تَجْعَـلْ شِـمالَكَ تَعرِفُ ما تعمَلُ يمينُكَ، حتّى يكونَ إحسـانُكَ في الخِفْيَةِ، وأبوكَ الّذي يرى في الخِفيَةِ هوَ يُكافِئُكَ»[١].

وقد كثرت النصوص في القرآن الكريم، والسـنة النبوية التي تؤكد على أن كل عمل لا يقصد به وجه الله ﷻ لا حظ لصاحبه في الجزاء والثواب عليه يوم القيامة، ومن هذه النصوص:

قول الله ﷻ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشـورى: ٢٠]، وقـال تعالى: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [الليل: ١٩، ٢٠]، وقال سـبحانه: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

وفـي الحديث الصحيـح أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سـمعت النبي ﷺ يقول: «إنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّـاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُـولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْ»[٢].

وجاء فـي الحديث الذي يبين فضل السـبعة الذين يظلهـم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ومنهم: «ورَجُـلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقَـةٍ فأخْفَاهَا حتَّى لا تَعْلَمَ شِـمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ»[٣].

---

(١) متى، الإصحاح: ٦: ١ ـ ٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (رقم ١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الآذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد (رقم ٦٦٠)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة (رقم ١٠٣١).

٢ ـ أن لا يتبع هذه الأعمال الخيرية منٌّ ولا أذى: وهذا ما جاء في نص إنجيل متى السابق: «فإذا أحسَنْتَ إلى أحدٍ، فلا تُطَبِّلْ ولا تُزمِّرْ مِثلَما يَعمَلُ المُراؤونَ في المجامعِ والشَّوارعِ حتّى يَمدَحَهُمُ النَّاسُ».

وفي القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢].

قال الطبري في تفسير هذه الآية: «وإنما شرط ذلك في المنفق في سبيل الله، وأوجب الأجر لمن كان غير مانٍّ ولا مؤذٍ مَن أنفق عليه في سبيل الله؛ لأن النفقة هي في سبيل الله: ما ابتغى به وجه الله، وطلب به ما عنده»[(١)].

ثانيًا: من حيث المجالات:

نعرض أهم مجالات العمل الخيري والأنشطة الاجتماعية عند الأديان الثلاثة، على النحو التالي:

أولًا: اليهودية:

حثت تعاليم الدين اليهودي على مساعدة المحتاجين، والفقراء، ومساعدة العمال، وحذرت رب العمل من أكل جهد العامل؛ حيث يأخذ كل عامل على حسب جهده في الوقت ذاته، أي لا تؤجل دفع الأجرة بعد اليوم الذي يقوم به العامل بهذا العمل[(٢)].

---

(١) الطبري، ابن جرير: **جامع البيان في تأويل القرآن** (٤/ ٦٥٥)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

(٢) الخشاب، سامية مصطفى: **النظرية الاجتماعية ـ دراسة الأسرة ـ** (ص١١٤)، دار المعارف ـ القاهرة.

وتتمثل مجالات العمل الخيري في الديانة اليهودية من خلال:

١ ـ رعاية الفقراء والمحتاجين: فقد نزلت على موسى عليه السلام الوصايا العشر التي تحث على رعاية الفقراء، وواجب الأغنياء نحوهم، وقد كانت هذه الديانة تحث على إنشاء مملكة الله على الأرض التي من الممكن اعتبارها دعوة للمدينة الفاضلة، وقد كانت الديانة اليهودية تشجع الرعاية الاجتماعية التي توفر للإنسان الحياة الكريمة.

٢ ـ رعاية الأرامل والأيتام: أولت هذه الديانة العناية بالأرامل والأيتام، وقد نزلت في ذلك العديد من الآيات للدلالة على هذه الرعاية، منها: «إِنْ كَانَ فِيكَ فَقِيرٌ، أَحَدٌ مِنْ إِخْوَتِكَ فِي أَحَدِ أَبْوَابِكَ فِي أَرْضِكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، فَلَا تُقَسِّ قَلْبَكَ، وَلَا تَقْبِضْ يَدَكَ عَنْ أَخِيكَ الْفَقِيرِ بَلِ افْتَحْ يَدَكَ لَهُ وَأَقْرِضْهُ مِقْدَارَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ»[(١)].

٣ ـ التعليم: أسس اليهود المدارس منذ عهد قديم وقد وضعوا عدة أسس للتعليم فلا يقبل الطفل قبل سن السادسة، وكان المعلم يتمتع بمكانة خاصة حيث يطلق عليه (حارس المدينة) نسبة إلى اهتمامه بتربية النشء وتثقيفهم ـ أم الكبار فكانت أروقة الهيكل محطة لطالبي العلم منهم.

٤ ـ الرعاية العمالية: اهتمت الديانة اليهودية بتقديم جانب من الرعاية العمالية وقد نزلت في ذلك العديد من الآيات منها: «لَا تَظْلِمْ أَجِيرًا مِسْكِينًا وَفَقِيرًا مِنْ إِخْوَتِكَ أَوْ مِنَ الْغُرَبَاءِ الَّذِينَ فِي أَرْضِكَ، فِي أَبْوَابِكَ. فِي يَوْمِهِ تُعْطِيهِ أُجْرَتَهُ، وَلَا تَغْرُبْ عَلَيْهَا الشَّمْسُ، لأَنَّهُ فَقِيرٌ»[(٢)].

وللأسف لم يحافظ الإسرائيليون على هذه المبادئ السامية، وإنما

(١) سفر التثنية ١٥: ٧، ٨.

(٢) سفر التثنية ٢٤: ١٤.

اخترقوها وتخلوا عنها واتجهوا للربح الفاحش واكتناز الأموال وتفرقوا كأقليات في البلاد مما سبب كره الشعوب لهم.

ثانيًا: المسيحية:

دعا عيسى عليه السلام إلى مساعدة المحتاجين والمعاقين ومد يد العون لهم ومشى على خطاه رجال الدين أو رجال الكنيسة عبر التاريخ القديم والحديث؛ حيث قاموا بتنظيم الخدمات وتقديمها لكافة الفئات المحتاجة والمعسرين، وقاموا بالعديد من الأعمال الخيرية تقربًا إلى الله.

وتتمثل مجالات العمل الخيري في المسيحية في مجموعة من النشاطات، مضمونها الحب، والرحمة، والزهد، وهدفها إقامة لمملكة السماء التي هي غاية الدعوة المسيحية. وهذه المجالات أو الأنشطة يمكن الوقوف عليها في هذا النص الذي ورد في إنجيل لوقا (الإصحاح: ١٤)؛ حيث قال المسيح عليه السلام: «إذا أَقَمتَ وَليمَةَ غَداءٍ أو عَشاءٍ، فلا تَدْعُ إلَيها أصدِقاءَكَ، ولا إخوانَكَ، ولا أقرباءَكَ، ولا جيرانَكَ الأغنياءَ؛ لِئَلّا يُبادِلوكَ الدّعوةَ، فتَنالَ المُكافأةَ على عَمَلِكَ؛ بل إذا أَقَمتَ وَليمةً، فَادْعُ الفُقَراءَ، والمُشَوّهينَ، والعُرْجَ، والعُميانَ. وهَنيئًا لكَ إذا فَعَلتَ؛ لأنّهُم لا يَقدِرونَ أنْ يُكافِئوكَ، فتُكافَأَ في قيامَةِ الأبرارِ».

من خلال هذا النص يمكن تحديد المجالات التي يهتم بها الدين المسيحي في العمل الخيري، وذلك على النحو التالي:

١ ـ رعاية الفقراء والمحتاجين: قامت رعاية الفقراء في الديانة المسيحة كاستجابة لتعاليم عيسى عليه السلام والرسل في الدعوة إلى محبة كل الناس، بما فيهم الأعداء، والزهد في محبة المال واكتنازه، ووجوب إنفاقه على الفقراء والمعوزين وأصحاب الحاجة؛ لذلك.. تطورت الصدقة من كونها وصية في العهد القديم إلى ركن من أركان العبادة المسيحية، وكان لها شكلان:

• الصدقة الفردية: وهي تقدم للأسرة التي فقدت عائلتها أو مرت بكارثة وكانت تقدم عن طريقة الكنيسة في الخفاء حفاظًا على مشاعر كرامة هذه الأسرة.

• الصدقة الجماعية: وهي متمثلة في: النذور، والعشور، والبكور، والوقف الخيري.

٢ ـ رعاية ذوي العاهات: اهتمت المسيحية بالضعفاء والمكفوفين وغيرهم من ذوي العاهات وأولوهم عناية واهتمامًا خاصًا.

فهذا النص أثبت حق الصدقة للفقراء، والمشوهين، والعرج، والعميان، أو ما يطلق عليهم «ذوي العاهات» أو «الاحتياجات الخاصة»، وأخرج فيه أيضًا: الأصدقاء، والإخوان، والأقرباء، والجيران.

لكن من خلال نصوص أخرى، وجدنا اهتمامًا وعناية بآخرين ممن تشملهم الرعاية الاجتماعية، من ذلك:

٣ ـ رعاية المرضى: كان من مهام الكنيسة منذ نشأتها تفقد أحوال المرضى وزيارتهم والعناية بهم، وقد فتحت لهم العديد من المستشفيات والمستوصفات وخصصت كثيرًا من رجالها في الطب. فرعاية المرضى وخدمتهم كانت ولا تزال فضيلة من الفضائل والتي تدعو إليها الكنيسة في كل جيل، وهي امتداد لرسالة عيسى عليه السلام الذي كان يجول في كل مدينة وقرية يشفي المرضى من كل أنواع الأمراض.

٤ ـ رعاية الأرامل والأيتام: فقد أعطت الديانة المسيحية أولوية لعناية الأيتام والأرامل؛ فقد جاء في رسالة يعقوب (١: ٢٧): «الدِّيَانَةُ الطَّاهِرَةُ النَّقِيَّةُ عِنْدَ اللهِ هِيَ هذِهِ: افْتِقَادُ الْيَتَامَى وَالأَرَامِلِ فِي ضِيقَتِهِمْ، وَحِفْظُ الإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِلَا دَنَسٍ مِنَ الْعَالَمِ». كما جاء بتعاليم الرسول الكثير من التوصيات للأساقفة بالاهتمام برعاية الأرامل والأيتام.

واعترفت المسيحية بنظام التبني للأطفال اليتامى، كم اهتمت بإنشاء بيوت للأطفال اليتامى ليجدوا فيها مجالًا للحياة الصالحة لكي ينشؤوا على تربية روحية ودينية وأخلاقية وذهنية تؤهلهم لكي يصبحوا شبابًا صالحين نافعين لأنفسهم ولمجتمعهم.

٥ ـ الاهتمام بالتعليم: اهتمت المسيحية بالتعليم كوسيلة لنشر الدين وكان التعليم يبدأ منذ الطفولة أي من سن الرابعة حيث يرسل الطفل إلى الكتاتيب ليتعلم على يد عريف يلقنه المبادئ الدينية والمدنية.

ثالثًا: الإسلام:

إذا نظرنا إلى العمل الخيري في الديانات السابقة، نجد أنه نمى في الدين اليهودي، وترعرع في الدين المسيحي، وازدهر بمجيئ الإسلام؛ حيث تحولت فيه الخدمات الفردية التي كانت تقدم في شكل هبة أو صدقة أو إحسان إلى التزام واجب، بأدوار محددة، ونظام معين، ربطت بين الدين والدنيا. فالزكاة فرض، والصدقة واجب، ورعاية اليتيم ثواب، ومساعدة العجزة والضعفاء مكرمة.

وقد نص الله ﷻ على الفئة الاجتماعية الأكثر احتياجًا للتضامن والتآزر معها؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]. وتضمنت هذه الفئة أصنافًا ثمانية من المستحقين للصدقات الواجبة في الإسلام.

وقد تنوعت أساليب تقديم الخدمات الخيرية تبعًا للواقع الحضاري لكل مجتمع: فقد ظهر بيت المال للصدقة في العصر الأموي، والبيمارستانات ـ أي: ملاجئ العجزة ـ في العصر الفاطمي، ومطاعم الفقراء في العهد الأيوبي، وصناديق النذور في العهد العثماني.

كما أفرزت عادات الشرق وتقاليده أعمالًا خيرية لمساعدة الإنسان؛ باستحداث أنماط مختلفة من الخدمات الفردية؛ كالنداء على التائه في المدن القديمة، والسقاية للعطشى، ودور الضيافة للغرباء، والمجالس العرفية التي تفض النزاعات بين المتخاصمين، وديوان المظالم لأصحاب الحاجات الخاصة.

فأحدث بذلك الإسلام مجتمعًا متوازنًا متناسقًا، خلق فيه الروح الاجتماعية الفياضة بالخير، والتي تهدف إلى مساعدة المحتاجين، وفق منهج تلقائي منظم.

وفيما يلي عرض لأهم مجالات العمل الخيري في الإسلام:

١ ـ **رعاية المحتاجين**: مجال مهم وواسع اهتم به الاسلام وجعله جزءا من الدين، وذلك عبر إطعام لمسكين او إعانة المحتاج أو إواء المهجرين أو تفريج كربة المكروبين وغيرها من أنواع وأشكال رعاية المحتاجين.

٢ ـ **رعاية الأيتام**: لقد حفظ القران الكريم حقوق الأيتام، ووضع شروطًا لرعايتهم، والمحافظة على أموالهم، وحدد مواقيت تسليمها إليهم، والطرق للمحافظة عليها؛ حيث قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

٣ ـ **التعليم**: كرم الله تعالى العلماء، وألزم من يحفظ في صدره علمًا بأن يعلم غيره، وكان الأسرى في الحروب الإسلامية يقومون بتعليم المسلمين مقابل تسريحهم والإفراج عنهم، كما عنى الدين الإسلامي بفتح المدارس، وتعليم الفقراء والأيتام وعنى بالمكتبات.

٤ ـ **الرعاية الطبية**: وتشمل: توفير العلاج، ونفقات الأغدية، والأغطية، والأثاث، وما يلزم المريض وأسرته خلال فترة المرض؛ مع التكفل بكل المستلزمات، وإذا توفي المريض يرعى أسرته من قبل بيت المال.

٥ ـ بناء المساجد: المسجد في الإسلام هو المؤسسة الاجتماعية والثقافية والدينية لذلك من ابرز مجالات العمل الخيري في الاسلام هو بناء المساجد.

٦ ـ الوقف الخيري: وهو حبس جزء من الملك عن التصرف فيه بالبيع، أو الهبة، أو الوراثة، ويستغل الإيراد على الصرف في أحد أوجه البر والخير؛ كالإنفاق على الفقراء والمساكين والشيوخ والعجزة، أو الأيتام أو الأرامل، وعلى المستشفيات أو المدارس التي تحفظ القرآن وتعلم النشء.

وقد سارت الدولة الإسلامية بعد وفاة النبي ﷺ على النهج الذي وضعه، فقد استمر أبوبكر الصديق في تنفيذ التكافل الاجتماعي، وفى عهد أبي بكر شملت الرعاية الاجتماعية أهل البلاد المفتوحة من غير المسلمين، فقد نصت معاهدة الصلح مع أهل الخير المسيحيين على أن بعض المسنين والمرضى والفقراء من دفع الجزية؛ بل وأنفق عليهم وعلى أولادهم من بيت مال المسلمين.

وقد أنشأ عمر الخطاب الدواوين المقيدة بها أسماء المشمولين بقوانين التكافل الاجتماعي، كما توسع في تطبيق نظام التكافل الاجتماعي على غير المسلمين.

وهكذا نلاحظ من عرضنا لمظاهر الرعاية الاجتماعية في الديانات السماوية كيف كانت جميع هذه الديانات تحمل في جوهرها ثورات إنسانية، تهدف إلى تنظيم العلاقات الإنسانية، كما تعمل على تغيير الأوضاع السيئة التي كان يعاني منها البشر، ويربط الرعاية الاجتماعية بالديانات السماوية جعلها مسؤولية اجتماعية لا يمكن التهرب منها؛ بل وأعطى لها القوة والمسؤولية لكي تصبح حقًا من حقوق البشر في المطالبة بها باعتبارها جزءًا من الإيمان، والامتناع عن تلبية هذا الحق يعنى الكفر والعصيان.

إذًا.. مما تقدم يتضح أن الأديان السماوية التي أنزلها الله ﷻ تدعو للاهتمام بالإنسان ورعايته إلا أن الدين الإسلامي بصفة خاصة قد وضع الدعامات الأساسية في تنظيم المجتمع على أسس قويمة تناسب الحياة الاجتماعية في كل زمان ومكان، وتدفع عجلة التقدم والرخاء لأنها تقوم على مبادئ سامية يعجز البشر على ابتداع مثلها.

مقاصد العمل الخيري
في الإسلام والنصرانية واليهودية

أولًا: مقاصد العمل الخيري في الإسلام:

«مقاصد العمل الخيري» في الإسلام، تنقل «العمل الخيري» من حيز التشريع ـ باعتباره مقصدًا عامًا وثابتًا من مقاصد الشريعة ـ إلى حيز المشروعات. أو هي التي تنقل مقصد العمل الخيري من حيز الأفكار إلى حيز المؤسسات والممارسات. أو من حيز النظرية إلى حيز الفعل والتطبيق.

وهذه بعض مقاصد العمل الخيري في الإسلام:

أ ـ معالجة الفقر:

لا مكان للفقر المدقع في المجتمع الاسلامي، فالخير والفقر ضدان لا يجتمعان؛ ولهذا كان العمل الخيري بمختلف صوره هو أحد الاساسيات الاجتماعية في المجتمع المسلم التي تستهدف القضاء على الفقر، وتسعى ـ بشكل دائم ومستمر ـ لتجفيف منابعه، وإخراج من يدخل في دائرته، وإعادة إدماجه في دورة العمل والإنتاج؛ كي يصبح معتمدًا على ذاته، مسهمًا في بناء مجتمعه، وفي مساعدة غيره؛ خاصة أن علَّة الفقر تصحبها علل أخرى كثيرة، مثل: الجهل، والمرض، والبطالة، والجريمة.

وهي علـل ذات آثار سـلبية، تدمر قـدرات المجتمع، وتعوقـه عن التطور والنمو[١].

لذلك.. يبلغ هذا المقصد تمامه إذا كانت التبرعات لها بال، وبصورة دائمة وعامة؛ حيث يسـتمر معهـا الإنفاق بمقادير متماثلة في سـائر الأوقـات، فدوام الإنفاق وعمومه لا يحصل إلا ببذل الفاضل على حاجات المنفقين، فلا يشـق عليهـم ولا يتخلف عن ذلـك أحد؛ وإقامـة لهـذا المقصد جعـل الله بعضًا من وجوه الإنفـاق حقًا له في أموال أصحاب الفضل ليعـودوا بها على المحتاجين فكانت من الواجبات: الزكاة، والنذور، والكفارات.

ولمـا كانت تلك الواجبات قـد لا تفي بحاجات المحتاجين، ندب الشـرع الحكيم إلى جملة من الأعمال الخيرية التطوعية للإسـهام في مواجهة مشـكلة الفقـر، ومن أهـم صـور هـذه الأعمـال الخيريـة: الصدقـة، والوقـف، والهبة، والوصايا)، والانتفاع بفائض رؤوس الأموال، والمنح التي تعطى لغير القادرين من دون تحصيل فوائد منهم (القرض الحسن)، وجميع أنواع التبرعات[٢].

ويمكن القـول: أن هذه المنظومة التمويلية للعمل الخيري في الإسـلام إذا ما تحققت على وجهها المشـروع سـوف تسـهم فـي صناعة ذلـك التحول من خلال أربع وسائل:

- وسيلة المساعدة النقدية
- وسيلة المساعدة العينية

---

(١) غانم، إبراهيم البيومي: **الرؤية القرآنية لمجتمع الخير العام** (ص٣٤، ٣٥ باختصار).

(٢) بن زغيبة، عز الدين: **مقاصد الشريعة الخاصة بالتبرعات والعمل الخيري** (ص٦)، بحث مقدم في مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث، دائرة الشـؤون الإسـلامية والعمل الخيري بدبي، مركز جمعة الماجد، ٢٠ ـ ٢٢ يناير ٢٠٠٨م.

• وسيلة المساعدة المؤسسية [المساجد، المدارس، المستشفيات، دور رعاية الأيتام، دور العجزة، وذوي الاحتياجات الخاصة].

• وسيلة المساعدة الفنية [تطوع فاعلي الخير من خبرات واستشارات ومشاركات يقدمونها دون أجور][١].

ب ـ طلب الأجر:

الأعمال الخيرية أعمال يُتقرَّب بها إلى الله تعالى، فلابد فيها من نية حتى يؤجر عليها الإنسان، فلو نوى غير وجه الله تعالى وطَلَبِ رضاه، فلا أجر له عند الله تعالى، قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت لهجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[٢].

ومن تيسير المولى ﷻ أن كل عمل مباح يصبح بالنية الصالحة عبادة يتقرب بفعله إلى الله تعالى؛ كما قال ﷺ: «وإنك لن تنفق نفقة تبتغي وجه الله تعالى إلا أجرت عليها؛ حتى ما تجعله في فم امرأتك»[٣]، فكيف إذا كان عملاً خيرياً، وكان نفعه متعديًا، في قضاء حوائج الناس، وتفريج كرباتهم، كما هو الشأن في العمل الخيري بكل أبعاده وآثاره.

ت ـ التيسير على الناس:

جاءت الشريعة بترسيخ مفهوم التيسير وجعلت من ممكانته العمل الخيري فمن قواعد الإسلام المقررة: أن «**المشقة تجلب التيسير**» أي أن الاحكام التي

---

(١) غانم، إبراهيم البيومي: **الرؤية القرآنية لمجتمع الخير العام** (ص٣٨، ٣٩ بتصرف).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (رقم ١)، ومسلم (رقم ١٩٠٧)، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (رقم ٥٦)، ومسلم (رقم ١٦٢٨).

ينشأ عن تطبيقها حرج على المكلف ومشقة في نفسه أو ماله، فالشريعة تخففها[١]. قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

فيجوز إعطاء السائل أيا كان دينه وإيمانه وصلاحه من عدمه لما ورد في حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ، قال: «قال رجل: لأتصدقن بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تصدق على سارق فقال: اللهم لك الحمد لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في زانية، فأصبحوا يتحدثون تصدق على زانية.....»[٢]. مع مراعاة أن يكون الإنفاق على قدر الطاقة فلا قلة وقد وسع الله عليه، ولا كثرة تفقد الانسان قوته وقوة عياله.

ث ـ تنمية الروح الاجتماعية الشاملة بين افراد المجتمع:

التنمية الشاملة: هو الاهتمام بالمجالات الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، والثقافي المشترك، وهو المسؤولية المشتركة، والمصلحة المشتركة؛ التي لا يختص بها فرد دون آخر، ولا تحتكرها مجموعة أو فئة دون أخرى.

وإذا أردنا أن نطبق ذلك على أعمال الخير نجد أنه يُسهم في إنشائها الأفراد، وتحميها الجهات الحكومية، تدليلًا على الشراكة التي تقوم بين الأفراد والجماعة والجهات الرسمية في إقامة مجتمع الخير؛ مصداقًا لقوله ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقوله ﷺ: «الخير فيَّ وفي أُمتي إلى يوم القيامة».

---

(١) الوجيز في إيضاح القواعد الكلية (ص١٥٧).

(٢) متفق عليه رواه البخاري في صحيحه ٢٢٨/١ رقم ١٤٢١، ورواه مسلم في صحيحه ٧٠٩/٢ رقم ١٠٢٢.

فالمبادرة الفردية (المفيدة) هي الركن الأول، والفئات الاجتماعية (المستفيدة) هي الركن الثاني، والسلطة الرقابية (المُنَظِّمة) هي الركن الثالث. وتكتمل الشراكة، أو تبلغ ذروتها، وتحيط بالعمل كلّه الحسبة، أو أنَّ الله ﷻ هو الذي يتلقى عمل الخير العام بالضمان أولًا، وبالثواب للفاعل ثانيًا، كما يبدو في التعبير القرآني: ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ﴾ [الصف: ١٠]، فعمل الخير هو التجارة الرابحة التي يفيد منها الجميع، ويشاركون فيها بفعالية لشتّى الجهات.

ومما يبرهن لمراعاة الإسلام لهذا المقصد ما حدث في مجتمع المدينة على عهد النبي ﷺ بعد هجرته إليه من مكة المكرمة. حيث تنوعت مبادرات العمل الخيري التي أسهمت في تكوين «النفع العام الشامل»، وكان من أهمها: المبادرة بوقف مسجد قباء، ومن بعده وقف مسجد الرسول ﷺ، ووقف بئر رومة للمنفعة العامة، ومبادرة الأنصار لاقتسام ما يملكون مع إخوانهم المهاجرين استجابة لتوجيهات الرسول ﷺ، رغم أن توجيهاته بهذا الخصوص لم تكن على سبيل الإلزام؛ وإنما كانت على سبيل الندب. وقد أسهمت هذه «المبادرات الخيرية» في إرساء البنية المادية لـ «المجال العام»، بعد أن كانت بنيته المعنوية (القيمية) قد ترسخت حول معاني التعاون، والتضامن، والتكافل. وقديمًا أطلق علماؤنا على هذه الأعمال التي تستهدف الخير العام مصطلح «حقوق الله». وهذه الحقوق تشمل ـ فيما تشمل ـ كل ما احتاج إليه الناس حاجة عامة؛ مادية أو معنوية، ولا غناء لهم عنها[1].

ج ـ المبادرة والتعاون:

يُعدّ التعاون والمبادرة والتضامن في العمل الخيري مقصد قرآني: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]، فالله ﷻ

(١) غانم، إبراهيم البيومي: **الرؤية القرآنية لمجتمع الخير العام** (ص٤٠ ـ ٤٢ باختصار وتصرف).

يأمرنا بأن تكون منَّا فئة تندفع لعمل الخير، فيتعاون معها الجميع، فيتحقّق التعاونُ الشامل، وهو الإيلاف الذي ذكره الله تعالى في سورة قريش: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قريش: ٤].

ح ـ الحرية:

مقصد قرآني جاء في مقدمة الأهداف التي يتوجه إليها عمل الخير بدلالاته القرآنية التي تسهم في «تحرير» النفس الإنسانية من الأغلال التي قد تكبلها لسبب أو لآخر، وتعوق حركتها، وتهدر طاقتها.

بعض هذه القيود معنوي، ينتج عن ارتكاب الذنوب والآثام، وبعضها مادي، ينتج عن حب المال، وتمكّن شهوة التملك من الإنسان، وبعضها سياسي، ينتج عن الحروب وصراعات القوة.

ونتيجة لتلك الأسباب فإن بعض بني آدم تقضي عليهم الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يعيشونها أن تكون حريتهم مقيدة معنويًا، ومنهم العصاة والمذنبون، أو مقيدة ماديًا، ومن هؤلاء: الرقيق، والفقراء، واليتامى، والمساكين، والأسرى، والجهلة، والمرضى، والمدينيون؛ وفي جميع هذه الحالات يجب شرعًا المساعدة في تحريرهم، ورفع الإصر عنهم، وتحطيم الأغلال التي وضعت عليهم؛ كي يكونوا محلًا صحيحًا للإيمان، وكي يكونوا قادرين على استقبال التكاليف الشرعية، وأدائها كما يريد الله ﷻ؛ لأن غير الحر لا يكون قادرًا قدرة الحر على إقامة التكاليف الشرعية ـ أو هو ليس مثله على الأقل ـ ولهذا يريد الإسلام أن يكون الإنسان حرًا أولًا، ثم يخاطبه بالأحكام الشرعية ويكلفه بها.

وهذا ما أكدته آيات سورة البلد، قال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١١ ـ ١٧]، فقد ذهب

أغلب المفسرين إلى أن المقصود بفك الرقبة «العتق»، وإطلاق مَنْ يقع في أسر الرق والعبودية. والعتق عمل من الأعمال العظيمة التي لها عند الله رفعة ومنزلة؛ فمن أعتق رقبة كانت له فداءً من النار، ومثله الذي يطعم في يوم عصيب ذي مجاعة يتيمًا ذا قرابة، أو مسكينًا ذا متربة؛ أي فقيرًا بائسًا قد لصق بالتراب من فقره وضره، وهو كناية عن شدة الفقر والبؤس، قال ابن عباس: هو المطروح على ظهر الطريق لا يقيه من التراب شيء. ومثل هذا الأعمال العظيمة مطلوبة على سبيل السرعة وبلا رويّة، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾؛ والاقتحام في الأصل: الدخول في الشيء بسرعة وشدة من غير روية.

ونضيف إلى ما سبق أن عموم دلالة «فك الرقبة» لا يقتصر على تحريرها من أسر العبودية والرق بالمعنى الاصطلاحي الذي قصده أغلب المفسرين والفقهاء ـ وكان أكثر الرق قديمًا بسبب الحروب ـ؛ وإنما يشمل أيضًا فك الرقبة من كل ما يقيّدها؛ فكّها من قيد الجهل؛ فالجهل يقيد حرية الإنسان، كما يقيد الرق حريته. وفك الرقبة يكون أيضًا من قيد المرض؛ فالمرض قيد على حرية الإنسان وحركته، وقد يقعده، أو يمنعه من الاستمتاع بكثير من الحريات التي لا تكتمل إنسانية الإنسان إلا بها. ويكون فك الرقبة من قيد الديون؛ فالديون تقيد الحرية أيضًا وتستذل المدين. وأخيرًا وليس آخرًا؛ يكون فك الرقبة من قيود الاستبداد التي تمارسها السلطات الطاغية؛ سواء أكانت سلطة التقاليد والآباء الأولين، أم سلطة الحكام المتجبرين، أم سلطة الخرافات والأوهام والأساطير؛ التي تستذل الكبير وتسترذل الصغير. وتلك هي أهم الحالات الاجتماعية التي يكون بعض بني الإنسان عرضه لها في كل زمان ومكان[1].

(١) غانم، إبراهيم البيومي: **الرؤية القرآنية لمجتمع الخير العام** (ص٢٢ ـ ٢٧ باختصار)، بحث منشور بمجلة التفاهم، العدد (٣٥)، السنة العاشرة، ٢٠٢١م/ ١٤٣٣هـ.

وهـذا المبدأ المهـم يسـتوجب الاهتمام بـه وضبطه لكيلا يسـتغله ضعاف النفـوس في الخروج علـى أولياء أمورهم وإحـداث الفوضى فـي البلاد الآمنة المستقرة.

خ ـ تعمير البلدان:

يسهم «عمل الخير» في تحقيق درجة أرقى من التمدن الإنساني ورفع كفاءة المجتمعـات فـي إعمـار الأرض، ويأخـذ إسـهام العمـل الخيـري فـي تمـدُّن المجتمعـات صورًا متعـددة: منها ما هو مادي في شـكل تبرعات ومسـاعدات تعين غير القادرين على تحسـين مستوى معيشتهم، ولا تتركهم نهبًا للمرض أو للجهـل أو للفاقة والعجز، ومنها ما هو غير مادي في شـكل إسـهامات معرفية وعلمية، تهدف إلى توعية المجتمع، ورفع قدرات أبنائه بصفة عامة.

ويمكننـا القول باطمئنان: إن أغلبية صور الأعمال الخيرية التي أسـهمت في «تمدن» المجتمعات الإسلامية، وفي بناء حضارتها الشامخة؛ قد تجلّت في «نظام الوقف» في معظم مراحل تاريخ هذه المجتمعات. فمن خلال الأوقاف وبتمويل منها نشأت أغلبية مؤسسات العلم والثقافة داخل المساجد وخارجها، في صورة مدارس ومعاهد، وكليات جامعية للمتخصصين، ودروس ومكتبات عامة[1].

د ـ تحقيق السلام المجتمعي:

يعزز العمل الخيري حالة السـلام بين الفئات الاجتماعيـة المختلفة بطرق متعـددة، لعـل مـن أهمهـا: أن حصيلـة المبـادرات الخيرية تشـكل شـبكة من العلاقـات التعاونيـة، وتدعـم روح الأخوة والتراحـم والتعاطف فـي الاجتماع البشري بصفة عامة.

(١) غانم، إبراهيم البيومي: **الرؤية القرآنية لمجتمع الخير العام** (ص٢٧، ٢٨ باختصار).

وإذا كان الإنسان «ذئبًا» لأخيه ـ كما يرى بعض فلاسفة النهضة الأوروبية الحديثة مثل توماس هوبز مثلًا ـ فهو أخ للإنسان في الرؤية الإسلامية، يسعى لإسعاده، ويتعاون معه على عمل الخير، ومحرم عليه أن يتعاون معه على الشر أو الإضرار بالغير؛ قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢]، وفي سورة الزلزلة يقول تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

وقد تكررت وصايا الرسول ﷺ التي تحضّ على فعل الخير لنفع الناس، مطلق الناس، قال ﷺ: «خَيْرَ النَّاسِ أَنْفَعُهُم لِلنَّاسِ»[(١)]، وفي البخاري عنه ﷺ أنه قال: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ»[(٢)]. كما حض النبي ﷺ على المبادرة بفعل الخير ولو كان شيئًا هينًا جدًا، ومن ذلك قوله ﷺ: «لا تَحقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوف شَيْئًا، وَلَو أنْ تَلقَى أخَاكَ بوجهٍ طليقٍ»[(٣)]، أو «بوجه طليق»، وقوله: «اتق النار ولو بشِقّ تمرة»، واعتبر الرسول ﷺ أن من الصدقات التبسم في وجه الآخر، فقال: «تبسمك في وجه أخيك صدقة»، وغير ذلك كثير من الأحاديث الشريفة التي تركز على المبادرة بعمل الخير بشكل عام، وتنبه إلى ضرورة أن ينتشر على أوسع رقعة ممكنة من النسيج الاجتماعي عبر المبادرات التي يستطيع أن يقوم بها كل إنسان مهما بلغ ضيق ذات يده؛ إذ أرشد ﷺ إلى كثير من المبادرات الخيرية قليلة التكلفة (شق تمرة)، أو التي لا تكلف شيئًا ماديًا يذكر (وجه طلق) أو (البسمة الصدقة)؛ وذلك لما لهذه المبادرات الخيرية المتنوعة ـ في

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (رقم ٦٠٢٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (رقم ١٧٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب كل معروف صدقة (رقم ٦٠٢١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء (رقم ٢٦٢٦). وقوله: «طلق» أي: منبسطًا مبتسمًا.

قيمتها المعنوية والمادية ـ من تأثير كبير في إشاعة جو من الطمأنينة والسلام والأمن بين أعضاء المجتمع مهما اختلفت مواقعهم الوظيفية، ومهما تباينت مراتبهم الاجتماعية.

ويسهم العمل الخيري في تحقيق مقصد «السلام المجتمعي» بصورة أخرى، وهي المسارعة إلى إزالة نقاط التوتر من المجتمع؛ وذلك في أوقات الأزمات التي قد يتعرف لها المجتمع، أو عند وقوع الكوارث والأوبئة التي قد تصيب فئة أو أكثر من فئات المجتمع. وهنا تظهر أهمية الأعمال الخيرية الإغاثية التي تقدم المساعدات العاجلة من كساء وغذاء ومأوى وإسعافات أولية وما شابه ذلك[١].

ثانيًا: مقاصد العمل الخيري في المسيحية:

يعتبر عيسى عليه السلام هو المثل الأعلى في العطاء لدى النصارى، وتخبرنا نصوص العهد الجديد عن العديد من الأعمال الخيرية التي صاحبت دعوته للنصرانية؛ ولا شك في ذلك، فمن سمة الأنبياء عليهم السلام حب الخير والسعي له بشتى الطرق.

أ ـ الرحمة المطلقة للناس:

جاء في موعظة المسيح عليه السلام على الجبل، والتي يعتبرها النصارى دستورًا أخلاقيًا سلوكيًا فريدًا من نوعه، كلام عن الحياة العملية[٢]، تكلم من خلال التطويبات[٣] عن ضرورة الرحمة كقيمة إنسانية فقال: «طوبى للرحماء لأنهم

(١) غانم، إبراهيم البيومي: **الرؤية القرآنية لمجتمع الخير العام** (ص٣٠ ـ ٣٤ باختصار).

(٢) الباب شنوده الثالث: **تأملات في العظة على الجبل** (ص١١)، مطبعة الأنبا رويس ـ القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٦م.

(٣) كلمة طوبى تعني سعادة وبركة معًا، (المصدر نفسه (ص١٣).

يرحمون»[١]؛ وفي هذا النص حث على الرحمة سواء كانت في أمور العالم المادية، كالجوع والعطش والمرض، أو في أمور الروحية، فإن كنت تكيل الناس بالرحمة، يعاملك الله كذلك، وإن عاملت الناس بالقسوة تكون مستحقًا لذلك[٢]: «بالدينونة التي بها تدينون، تدانون»[٣]؛ في اليوم الأخير سيقول للذين على يساره: «اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار المعدة لإبليس وملائكته»[٤]؛ ويقول بعدها مباشرة شارحًا سبب اللعنة: «لأني جعت فلم تطعموني وعطشت فلم تسقوني كنت غريبًا فلم تأووني، عريانًا فلم تكسوني، مريضًا ومحبوسًا فلم تزوروني.. بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر، فبي لم تفعلوا»[٥]؛ ويبدو من هذه النصوص ارتباط العمل الخيري بمبدأ الثواب في الآخرة.

ب ـ العدل في العطية:

أنكر المسيح عليه السلام على الذين يتبعونه بعدما قام بمعجزة إطعام خمسة آلاف شخص من الخمس خبزات[٦]، فقال: «أنتم تطلبونني ليس لأنكم رأيتم آيات؛ بل لأنكم أكلتم الخبز فشبعتم، اعلموا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية...»[٧]؛ مما يعني أن الخير الذي قام به عيسى عليه السلام في إطار معجزاته، كان مقصدًا في حد ذاته، فلم يطعمهم ليؤمنوا به؛ بل أطعمهم ليفكروا من خلال هذه المعجزة في الرسالة التي يقدمها لهم.

---

(١) متى ٥: ٧.

(٢) الباب شنوده الثالث: **تأملات في العظة على الجبل** (ص٦٣).

(٣) متى ٧: ٢.

(٤) متى ٢٥: ٤١.

(٥) متى ٢٥: ٢٥ ـ ٤٥.

(٦) متى المسكين: **المسيح حياته، أعماله** (ص٢٧٥)، دار مجلة مرقس ـ القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

(٧) لوقا ٦: ٢٦ ـ ٢٧.

ت ـ الانسانية:

كان عيسى عليه السلام يشفي المرضى أحيانًا ولا يبشرهم، وفي أحيان أخرى كان يدعوهم إلى التوبة قبل أن يشفيهم، فكان اهتمامه منصبًا على استرداد إنسانية البشر، إضافة إلى دعوتهم إلى الإيمان به[١]؛ ويرى القس صموئيل حبيب أنه على الكنيسة أن تتبع خطوات عيسى في التكافل مع المحتاجين وإعطائهم الرجاء في علاقات رعاية مستمرة[٢].

ث ـ الرأفة والعبادة المخلصة:

تذكر الأناجيل أن المسيح عليه السلام أرسل التلاميذ الإثنى عشر لنشر النصرانية وأعطاهم القدرة على شفاء المرضى «ودعا تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم قوة سلطانًا على جميع الشياطين وشفاء أمراض، وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ويشفوا المرضى»[٣]؛ وكانت أهم مقومات الكارز في بداية الدعوة النصرانية، ألا يحمل من همّ الدنيا شيئًا؛ بل يستعد لخدمة الآخرين[٤]؛ ويبدو أن عمل الخير والدعوة للنصرانية في عهد المسيح والتلاميذ كانا متلازمين، ومقصدين من مقاصد الديانة النصرانية؛ ولا يوجد أبلغ من الوصف القرآني لأتباع النبي عيسى عليه السلام، والذي يعكس قابليتهم لفعل الخير انطلاقًا من الرأفة والرحمة التي أودعها الله في قلوبهم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧].

---

(١) حبيب، صموئيل: **المسيحية والإنسان ـ أوراق مختارة ـ** (ص٢٤١)، دار الثقافة ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

(٢) المصدر نفسه (ص٢٤١).

(٣) لوقا ٩: ١ ـ ٣.

(٤) متى المسكين: **المسيح حياته، أعماله** (ص٢٦٨ ـ ٢٧٠).

ولكن مسار العمل الخيري في النصرانية بعد ذلك تحول من خلال تناول النصوص ببعد لاهوتي، فالعمل الخيري أصبح مرتبطًا ببعض العقائد؛ أضفى عليه أبعادًا غيرت منحاه المقاصدي.

ومما تجدر الإشارة له هنا أن هناك اختلاف لاهوتي بين **الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت** بخصوص العمل الخيري:

فبالنسبة للكاثوليك والأرثوذكس يرتبط العمل الخيري بالخلاص، حيث إن المسيح قدّم نفسه فداء عن خطيئة آدم التي سحبت عدل الله المنتشر في العالم، وبموته على الصليب حقق بآلامه متطلبات العدالة أتى كانت على كاهل الإنسان؛ لأنه تعدى على وصية الله؛ ومنذ ذلك الحين أصبح التمسك بالخطيئة قد يؤدي إلى الجحيم والعذاب، فالله أعطى الإنسان العقل والإرادة والحرية، والأخطاء هي اعتراض على نعمة الله؛ لهذا وجب أن يترتب عن الأفعال الإنسانية الثواب أو العقاب[١].

من هذا المنطلق شددت الكنيستين على العمل الخيري، ودعت إلى عدم التراخي في السعي إليه، منطلق من قول بولس: «فلا نفشل في عمل الخير لأننا سنحصد في وقته إن كنا لا نكل فإذا حسبما لنا فرصة فلنعمل الخير للجميع، ولا سيما لأهل الإيمان»[٢]؛ يرى يوحنا ذهبي الفم أن النص يدعو لفتح باب الرحمة على الآخرين حتى لا يظن أنه تم حصرها على المعلمين، وفيها العناية الخاصة بالمؤمنين والعناية العامة بالغير حتى الأعداء، «ويجب أن لا نكل من ذلك لأن حصادًا عظيمًا ينتظرنا»[٣]؛ ويعطي متى المسكين بعدًا لاهوتيًا لهذا

(١) الإكويني، توما: **الخلاصة الاهوتية** (٣/ ٤٢٠ ـ ٤٢٤)، ترجمة: الخوري بولس عواد، المطبعة الأدبية ـ بيروت، ١٩٠٨م.

(٢) غلاطية ٦: ٩ ـ ١٠.

(٣) يوحنا ذهبي الفم: **مدخل إلى الإنجيل ـ تفسير رسالة غلاطية ـ** (ص٦١، ٦٢)، ترجمة: الأنبا موسى، مكتبة الشباب.

النص فقال: «الله لا ييأس من خلاص الإنسان وهو يدعو كل يوم، ويده ممدودة لأن الذي عمله ابنه على الصليب لا يزال هو هو قائمًا أمامه، فالابن قائم كذبيحة خروف قائم كأنه مذبوح «خروف قائم كأنه مذبوح»[١]، دمه يتقطّر حبًا وشفاعة وجروحه عليه، وجنبه مفتوح، هذه هي الفرصة القائمة الدّائمة لنا أمام الله لكي تسرع الكنيسة وتجمع أولادها ولا تتركهم لترعاهم الذئاب، وعمل الخير للكنيسة هو رعاية أولادها بالمحبة ثم ترضى طموح المحبة لما بعد أولادها فتضع محبة بلا أجر لغير أولادها، تتقرب إليهم وتفتح قلبها بالحب لكل غاد ورائح تنادي قلبي مفتوح للجميع تعالوا مجانًا أخذنا مجانًا نعطي، لا بذهب ولا بفضة»[٢].

اشتهر الكاثوليك بالتحفيز على عمل الخير وإنشاء الكنائس والأديرة التي تكون منها الرهبان وانطلقوا للتنصير في مختلف أنحاء العالم، لقناعتهم بضرورة تنصير الناس وضرورة ادخالهم ضمن دائرة الخلاص، انطلاقًا من قول المسيح حسب اعتقادهم: «اذهبوا فتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن وروح القدس»[٣]؛ فتكونت العديد من الجمعيات التنصيرية؛ لكن السؤال الذي يطرح، هل ظلت هذه المنطلقات هي محفزها للعمل الخيري؟ أم أن عوامل أخرى أسفر عنها التاريخ ظهرت فغيرت مقاصدية العمل الخيري الكاثوليكي والأرثوذكسي.

أما البروتستانت فهم يرون الأعمال لا ترتبط بالخلاص فهي لن تسهم في جلبه، فما يهم بالدرجة الأولى هو الإيمان. ويعتقدون أن كلمة «خير» تعنى كلمة «حب»؛ لهذا استبدلوا كلمة الأعمال الخيرية المذكورة في كورنثوس ١٣: ١٣

---

(١) رؤيا يوحنا ٥: ٦.

(٢) متى المسكين: **شرح رسالة القديس بولس إلى أهل غلاطية** (ص٦٧٠ ـ ٦٧١)، مطبعة دير القديس أنبا قار ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

(٣) متى ٢٨: ١٩.

حيث كان «الأصل والأمل والصدقة وأكبر هذه الأعمـال الخيرية» بكلمة «حب» فضيقت المفهوم من الاهتمام بكل من هو بحاجة إلى المساعدة من جميع البشر، إلى علاقة ثنائية تجمع شخص بآخر.

يـرى الإصلاحيـون البروتسـتانت أن الأهم بالنسـبة للإنسـان هـو الإيمان وحـده، والأعمال الصالحة ليسـت ضروريـة لتحقيق الخـلاص؛ لكنها حاضرة دائمًا عند وجود الإيمان[١]، فلا يمكن محو أعمال الشـر بأعمال الخير بالنسبة للبروتسـتانت، فلا يدخل ملكوت الله شـخص خاطئ، فالله كامل لا يسمح إلا بالكمال؛ لهذا كان لابد أن يموت المسيح فداءً للبشرية حتى يمكن لمن يعتقد بخلاصه أن يدخل ملكوت الله[٢]؛ لهذا السبب تعتبر الكنائس البروتستانتية أقل مشاركة في تنظيم الجمعيات الخيرية وتشغيلها بالنسبة لباقي الفرق النصرانية[٣].

ينطلق البروتستانت من مفهوم خلاص النعمة، «أما الذي يعمل فلا تحسب له الأجرة على سبيل نعمة؛ بل على سبيل دين»[٤]؛ ويرون بأن الله ليس مدينًا للإنسان بشـيء، فالخلاص هبة ونعمة مجانية؛ لهذا فليس بإمكان الإنسـان الحصول على الخلاص من خلال الأعمال الحسـنة، فالخلاص هو أجرته؛ والذي يعني أن يحيا الإنسان حياة روحية توصله إلى الخلاص الأبدي، بعيدًا عن عمل الكنيسة، ويكون خلاص النعمة بالإيمان وحده، وأساسه النعمة التي هي من الله»[٥].

---

(١) Deborah R. Taggart, Ibid, op.cit

(٢) انظر على سـبيل المثال كتاب: عبد الفـادي، عبد الله: **عقيدة الخلاص بالإيمـان والأعمال في ضوء الكتاب المقدس** (ص٢)، Ktab INC.

(٣) Deborah R. Taggart, Ibid, op.cit

(٤) رومية ٤: ٤.

(٥) البـاب شـنوده الثالـث: **بدعـة الخـلاص فـي لحظـة** (ص١٣)، الكليـة الإكليريكيـة للأقبـاط الأرثوذكس ـ القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م. وانظر: Hyacinthe de montargon: Dictionnaire Apostolique, (Paris: Parent-Desbarres, 1839), Volume 2, p. 213.

يقول وليام باركلي في تفسير قول لوقا: «بل إذا صنعت ضيافة فادع: المساكين، الجدع، العرج، العمى فيكون لك الطوبى إذ ليس لهم حتى يكافوك، لأنك تكافي في قيامه الأبرار»[١] للإنسان أن يعطي ولا ينتظر شيئًا، إن الطريقة المثلى للعطاء ترتكز وتتركز في قانون الملكوت وهو أن من يعطي لينال مكافأة سوف يأخذ شيئًا أمام من يعطي وهو لا ينتظر شيئًا ستكون مكافأة أكيدة ومؤكدة؛ إن العطاء الحقيقي والأمثل هو الذي انصبت على المحبة بدون حساب، المحبة التي لا تنتظر الجزاء ولا ترجوه كما أعطى الله لأنه أحب العالم؛ لذلك ينبغي أن نعطي بهذه الروح[٢].

يقول دون فليمونج في تفسيره (الرسالة الثانية لأهل كورنثوس، إصحاح ٩ فقرة ٩): «يجب على المسيحيين أن يكون عطاءهم نابع من حبهم، فلا يوجد قواعد أو قوانين تفرض العطاء، فبالحب أعطى المسيح كل شيء، تاركًا ملكوت السماوات من أجل عالم خاطئ وآثم، ومن أجل أن ينقذ الخطاة ويجعلهم يتقاسمون معه الملكوت»[٣].

يبدو العمل الخيري لدى البروتستانت، خاليًا من كل مقصد؛ فالأعمال الخيرية، لا علاقة لها بمصير الإنسان؛ لهذا ركزوا على العمل التنصيري أكثر من العمل الخيري، واستعانوا به لأغراض تنصيرية.

---

(١) لوقا ١٤: ١٣ ـ ١٤.

(٢) باركلي، وليم: **تفسير العهد الجديد «إنجيل لوقا»** (ص٢٥٠)، ترجمة: مكرم نجيب، دار الثقافة المسيحية ـ مصر، الطبعة الثانية.

(٣) فليمنج، دون: **التفسير المعاصر للكتاب المقدس** (ص٧٣٢)، ترجمة: لجنة التعليم بالكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة ـ القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

ثالثًا: مقاصد العمل الخيري في اليهودية:

تهدف اليهودية الحقة ـ فيما تهدف ـ إلى الإصلاح، والبعد عن التعصب للجنس، أو اللون، أو العرق؛ لأنَّ مشرّعها العليم الخبير، الذي أنزل القرآن والتوراة والإنجيل.

ولا يتصور أي عاقل له حظ من الإدراك أن يقول: إن ما جاءت به التوراة يختلف عن الذي جاء به القرآن؛ لأن مصدر التشريع واحد، لا يختلف في الهدف، ولا في المضمون؛ ولكن الذين يدعون الانتساب إلى شريعة موسى عليه السلام هم الذين حرفوا الكلم عن مواضعه، فبدلوا وغيروا. وعلى كل.. فإن النصوص الباقية من التوراة على الرغم من عبث أصحاب الأهواء بها؛ فإن فيها ما يدل على المقاصد التوراتية من فعل الخير على النحو التالي:

١ ـ **الرحمة المطلقة**: وبرهان ذلك جاء في التوراة عدة نصوص تثبت هذا المقصد ومنه:

١. طُوبَى لِلَّذِي يَنْظُرُ إِلَى الْمِسْكِينِ، فِي يَوْمِ الشَّرِّ يُنَجِّيهِ الرَّبُّ[١].

٢. مَنْ يَرْحَمُ الْفَقِيرَ يُقْرِضُ الرَّبَّ، وَعَنْ مَعْرُوفِهِ يُجَازِيهِ[٢].

---

(١) سفر المزامير (١: ٤١).

(المزامير): تُعرف في اللغة العبرية باسم (تهاليل)، والتي تعني في اللغة العربية بـ (تسابيح)، وهي عبارة عن مجموعة من الأناشيد كتبت في تسبيح وتمجيد الله وحده. وموجودة في الكتاب المقدس (العهد القديم)، وتنسب لنبي الله داود عليه السلام ؛ لأنه كتب معظمها؛ إلا أنها ليست كلها له.

(٢) سفر الأمثال (١٩: ١٧).

(الأمثال) هي مجموعة من الحكم التي تتحدث عن المعاملات الاجتماعية، والعلاقات الأسرية، والتصرفات الإنسانية، ونحو ذلك، من خلال الأمثال الواقعية. وتنسب هذه الأمثال لسليمان الحكيم.

٣. لَيْسَ مِنْ الْحَقِّ أَنْ يُهَانَ الْفَقِيرُ الْعَاقِل، وَلَا مِن اللَّائِقِ أَنْ يُكْرَمُ الرَّجُلُ الخَاطِئ[١].

٢ ـ **الكرامة**: دل على ذلك ما ورد فبعض نسخ التوراة «عيش الفقير تحت سقف من ألواح، خير من الأطعمة الفاخرة في دار الغربة»[٢].

٣ ـ **المكافأة بالمثل**: وهذا واضح وجل في مقاصد اليهود في العمل الخيري فكثير منهم يؤديه لمقصد أن ينال نفس الخير الذي بذله ومن ذلك ما ورد:

(١) سفر يشوع بن سيراخ (١٠: ٢٦).
(يشوع بن سيراخ) هو أحد حكماء اليهود ممن درسوا التوراة، عاش في أورشليم في القرن الثالث قبل الميلاد، وكان كاتبًا ومعلمًا وذا ثقافة عالية، اكتسب الحكمة بسبب أسفاره واختباراته ودراسة الكتب المقدسة، فكتب فيها. كرس حياته لدراسة الناموس والأنبياء وغيرها من أسفار الحكماء.
(٢) سفر يشوع بن سيراخ (٢٩: ٢٩).

واقع العمل الخيري
في الأديان الثلاث في العصر الحديث

اختلفت تطبيقات العمل الخيري من دولة لأخرى، وهو ما جاء انعكاسًا لتأثير البُعد الديني، والظروف الاقتصادية، والسياسية. ونعرض فيما يلي واقع العمل الخيري وتطبيقاته في الديانات الثلاثة؛ وفقًا للتجربة الحديثة الغربية والعربية، مع ربط الديانات بالدين الرسمي الذي ورد في دستور الدولة:

الواقع المسيحي:

لم تكن دول أوروبا قبل عصر النهضة سوى مجتمعات متفرقة لعناصر جرمانية يحكمها الإقطاع وتعيش صراعات عنيفة بين طبقات المجتمع المختلفة من رجال الكنيسة والأشراف والأسر المالكة وبين العامة مع شيوع القسوة والردع والمغالاة والانتقام؛ إلا أنه مع ظهور بوادر الصناعة وفي أعقاب اكتشاف البحار لجيمس ويلت سنة ١٥٣٦م، وبدايات هجرات الفلاحين من القرى إلى المدن، وتفشي البطالة والفقر خاصة في دويلات النمسا وإيطاليا وألمانيا وبريطانيا وبين الإمارات المختلفة التي تشكل شعوب شمال أوروبا وجنوبها ظهرت العديد من الخدمات الفردية العفوية لرجال الكنيسة للإصلاح الاجتماعي، فالقس (لافابيل) في فرنسا استحدث ما يعرف بمطاعم الفقراء، كما استحدث اللورد (بيفرستون) ملاجئ لإيواء المهاجرين إلى لندن.

كما قامت الكنيسة الكاثوليكية في ألمانيا بإيواء اليتامى واللقطاء من خلال ما كان يعرف بتقارير طلاب المدارس الأكليريكية. كما امتدت هذه الخدمات إلى المساجين من القتلة والسفاحين من صيحة أطلقها (جون هوارد) لتقديم المساعدة الإنسانية لهم لأنهم بشر[١].

وفي عام ١٥٣٦م قام البرلمان في بريطانيا بوضع قانون ينص على جمع الفقراء في الكنائس كل يوم أحد، وعلى الجهة الإدارية المحلية أن تقدم المساعدات لغير القادرين من الفقراء وفي مقابل ذلك يجب القضاء على التسول، وتوقيع العقاب على الفقير القادر على العمل إذا قام بأعمال التسول أو التشرد.

وفي عام ١٥٣٩م صدر قانون جديد يعطي للكنائس الحق في الحصول على بعض الضرائب بجانب الإعلانات لكي ترعى الفقراء مع التأكيد مرة أخرى على عدم السماح بالتسول أو التشرد بالنسبة للفقراء[٢].

ولكن نتيجة لتدهور الأوضاع الاقتصادية، وارتفاع مستوى التضخم؛ مع تسارع النمو السكاني؛ إضافة إلى تراجع أشكال المساعدات الخيرية التقليدية، صدرت عدة قوانين خلال الفترة من ١٥٩٧ وحتى عام ١٦٠١؛ لحماية وتحسين أوضاع الفقراء؛ وذلك في محاولات للبرلمان الإنجليزي لمنع تفاقم المجاعات، ولحفظ النظام العام[٣].

فشهد القرن السادس عشر، اهتمامًا كبيرًا بالفقراء؛ حيث تم وضع «قانون الفقراء»، أو «القانون الإليزابيثي للفقراء» الذي صدر عام ١٦٠١م في إنجلترا،

---

(١) انظر: غباري، محمد سلامة: **الخدمة الاجتماعية ورعاية الأسرة والطفولة والشباب** (ص٤٨)، المكتب الجامعي الحديث ـ الإسكندرية، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

(٢) انظر: التير، مصطفى عمر: **مسيرة تحديث المجتمع الليبي ـ مواءمة بين القديم والحديث ـ** (ص١٠٤)، معهد الإنماء العربي ـ بيروت، ١٩٩٢م.

(٣) http://eh.net/encyclopedia/article/boyer.poor.laws.england

وهـو أحد أهم قوانيـن الفقراء؛ حيث أصبـح المصدر الرئيس لكافة تشـريعات الأمـن الاجتماعـي المطبقـة فـي الـدول الأنجلوسكسـونية: (كنـدا ـ الولايات المتحدة ـ أستراليا).

ويعتبر هذا القانـون محاولة لتحقيـق رعاية أفضل للفقـراء، وقد نص على تصنيـف الفقراء إلى ثلاث فئات، ولـكل فئة نوع معين من المسـاعدة يتفق مع احتياجها الفعلي، وهذه الفئات هي:

ـ الفقراء القادرون على العمل.

ـ والفقراء العاجزون عن العمل.

ـ والأطفال الذين لا عائل لهم.

فقد حرص مندوبـو الحكومة على تقصـي أحوال الفقـراء، وتحديد حجم المسـاعدة؛ فضلًا عن التمييز بين خدمات القادرين على العمل وغير القادرين، والنسـاء، والمسـنين، والأطفـال؛ حيـث أنشـئت مؤسسـات التوجيـه الصناعي لتدريب العاطلين داخل ملاجئ الإيواء الجماعـي، ومع انتقال قانون الفقر إلى فقراء أمريكا التي كانت تعانـي بدورها من ملايين المهاجريـن إليها من أوروبا وأمريـكا الجنوبيـة وأفريقيا انتشـرت العديـد من الهيئـات والجمعيـات العرقية لخدمـة الطوائـف المهاجرة لتبـدأ مراحل متقدمة في دراسـة الحـالات الفردية لتقرير الإعانة وإن كانت دراسات ارتجالية لا تحكمها محددات علمية.

ومـع ازدهـار التيـار البروتسـتانتي فـي أمريـكا وأوروبـا تعـددت الهيئات الاجتماعيـة الكاثوليكية لرعايـة النازحين إليها مـن كافة الأقطار؛ لتبـدأ أنماطًا مختلفة من الخدمات والمساعدات المرتبطة بالمذهب البروتستانتي وخاصة في نيويورك ولندن لتعنى بصفة خاصة النسـاء والأطفال والمسنين من خلال توفير سبل المعيشة والتعليم والعمل أو إنشاء ما يعرف بمدارس الكنيسة البروتستانتية

ومشاغلها ومصانعها والتي عرفت فيما بعد بجماعات (الكويكرز، والمورمون) كطوائف مميزة للمذهب البروتستانتي[١].

وفي أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع، تزامن تزايد الإنفاق على إعانة الفقراء مع تزايد هجوم فقهاء الاقتصاد السياسي على تلك الإعانة؛ على إثر ثورة العمال الزراعية لعامي ١٨٣٠ ـ ١٨٣١، وأحداث شغب؛ مما دفع الحكومة في ١٨٣٢ إلى تعيين لجنة ملكية للتحقيق في قوانين الفقراء. وقد أشار تحقيق اللجنة إلى ضرورة القيام بعملية إصلاح واسعة على قوانين الفقراء، وإنشاء نظام الإعانة الخارجية للرجال القادرين وعائلاتهم، وتعيين لجنة قانون فقراء مركزية لتوجيه إدارة إعانة الفقراء. وبعد نشر التقرير بفترة وجيزة، تبنى البرلمان اقتراحًا لإصلاح قانون الفقراء لعام ١٨٣٤، والذي نفذ بعض توصيات اللجنة، وترك أخرى ـ كتلك المتعلقة بتنظيم الإعانة الخارجية ـ إلى لجان أخرى.

وفي عام ١٩٤٨ ظهر قانون «المساعدة الوطنية» National relief act، والذي قضى رسميًا على كل قوانين الفقر الموجودة، واستبدل قانون الفقر بالمجلس الوطني للمساعدات ليعمل كوكالة إعانة خلفية.

وفي عام ١٩٧٢م تم إنشاء مكتب لرعاية الفقراء من خلال جباية الضرائب التي تفرض على المحلات مما سمح بإنشاء ملاجئ خاصة بها وشراء المواد الخام لتشغيل العاطلين، وكانت هذه أول محاولة لتأهيل الفقراء القادرين على العمل بدلًا من اعتمادهم على المساعدات[٢].

إذًا.. لعبت الكنيسة ـ ولا زالت ـ دورًا محوريًا في تنظيم العمل الخيري، والوصول إلى الفئات المستهدفة؛ إذ كانت ترأس العمل الخيري في القرون الماضية.

---

(١) انظر: غباري، محمد سلامة: **الخدمة الاجتماعية ورعاية الأسرة والطفولة والشباب** (ص٤٩).

(٢) انظر: عرفة، خديجة: **العمل الخيري.. خلفية نظرية حول المفهوم** (ص١٦).

أما الآن؛ ومع ترسخ وجود الدولة المدنية الحديثة، فقد أصبحت الكنيسة بمؤسساتها آلية رئيسية للقيام بعمل الخير، وتنفيذه في المجتمعات؛ سواء بالاعتماد على مصادرها الخاصة، أو بالتعاون مع الحكومة، أو القطاع الخاص.

وقد ظهرت إيديولوجيتان خاصتان بالعمل الخيري في الدين المسيحي:

الأولى: هي إيديولوجية الكنيسة الكاثوليكية، والتي شجعت أعضاءها على التصدق كوسيلة للخلاص الروحي؛ لذا.. عُنيت الكنيسة الكاثوليكية بتنظيم عمل الخيري ومؤسساته.

أما الثانية: فيقودها المصلحون البروتستانت، وترى أن الإنسان مُساءَل عن إيمانه أمام الله فحسب، وأن عمل الخير لن يجلب بالضرورة الخلاص الروحي.

وبهذا.. تكون الكنيسة البروتستانتية أقل التزامًا بمفهوم الإحسان، وأقل انشغالًا بتنظيم وتشغيل المؤسسات الخيرية، مفضلة الإدارة العلمانية لهذه المؤسسات من قبل الدولة، في الوقت الذي يكون فيه دور العاملين بالكنيسة دور تعاوني الصيغة[١].

نماذج من واقع العمل الخيري في البلاد الغربية المسيحية:

١ ـ الولايات المتحدة الأمريكية:

يحتل العمل الخيري في أمريكا مساحة واسعة من نشاطات المجتمع المدني، وتتنوع المؤسسات غير الربحية تنوعًا كبيرًا، وتشير بعض الدراسات إلى وجود ما يقارب ستة ملايين مؤسسة لا ربحية في الولايات المتحدة الأمريكية، ما بين جمعيات خيرية دينية وعمالية ونقابية وحزبية وغيرها، وتعتبر أمريكا هي الحاضن لأكبر عدد من المؤسسات الخيرية، ومدينتي «نيويورك»

(١) عرفة، خديجة: **العمل الخيري.. خلفية نظرية حول المفهوم** (ص٧)، بحث نشر بمجلة مداد.

و«كاليفورنيا» تعدان الرائدتان في المجال الخيري، وهذا يرجع إلى القوانين التفصيلية التي سنّتها الولايتين في بدايات القرن التاسع عشر؛ وذلك لأجل ترغيب أصحاب المال والراغبين في تأسيس المؤسسات الخيرية إلى الإقبال والتسهيل[١]، وما يميّز هذا القطاع أنه يقوم على إدارته هيئة عليا تنفيذية متخصصة في الاستثمار، وهي أنواع:

أولًا: المؤسسات الخاصة (private foundations):

وحقيقة هذه المؤسسة أنها تقوم على أنواع، منها:

ـ مؤسسة المالكين: حيث يكون صاحبها هو الموجه لنشاط المؤسسة، ويدخل ضمنها المؤسسة العائلية، وفي هذه الحالة نشاط المؤسسة يحدده أفراد الأسرة من أبناء أو إخوة، كما يمكن أن يكون لأمناء من خارج العائلة دور في تحديد نشاط المؤسسة.

ـ النوع الثاني ـ الذي يدرج ضمن المؤسسات الخاصة ـ: الودائع؛ التي ينشطها أصدقاء أو شركاء المالك الأصلي، وفي كثير من الأحيان تديرها البنوك أو مؤسسات قانونية، أما المؤسسات المحترفة فيديرها مجلس أمناء غير عائلي، وينفذ برامجها موظفون محترفون[٢].

ثانيًا: مؤسسات المجتمع (community foundations):

تعد مؤسسات المجتمع أكثر المؤسسات الخيرية تكاثرًا في أمريكا؛ لما تتمتع به من خصائص، فهي تسمح لمن أراد أن لا يذكر اسمه بذلك، كما

---

(١) الأشقر، أسامة عمر: **تطوير المؤسسة الوقفية الإسلامية في ضوء التجربة الخيرية الغربية** (ص٣٩)، دار النفائس ـ الأردن، ط١، ٢٠١٢م.

(٢) مشهور، نعمت عبد اللطيف: **دراسة المؤسسات الوقفية الأجنبية** (ص١٧)، المؤتمر الثاني للأوقاف، الصيغ التنموية والرؤى المستقبلية، سنة ٢٠٠٦م.

تتحمل أعباء المؤسسات الخيرية المشتركة معها، كما تحدد غرضها بمجتمع معين مدينة أو ولاية، كما تحدد الغرض الذي تنفق فيه كالتعليم أو الصحة أو غيرها من المجالات الخدماتية، وأموالها تكون إما من أفراد أو عائلات في المجتمع نفسه[١].

ثالثًا: مؤسسات الشركات (corporate foundations):

تقوم فكرة هذه المؤسسات على مساهمة واشتراك مجموعة من الشركات لدعم مشاريع خيرية؛ بحيث تمنح أموالًا وتنشئ ما يسمى صندوق الدعم، تعين على المؤسسة مجلسًا إداريًا خاصًا بها، وعادة يكون من المسؤولين من الشركات المساهمة، ويوجد في الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٠٠ شركة[٢].

رابعًا: مؤسسات عاملة (operating foundations):

عبارة عن مؤسسات غير ربحية، تستخدم أوقافها لتنفيذ برامجها الخاصة، من أكثر أنواعها انتشارًا المؤسسات التي تدير المستشفيات؛ حيث تخصص أموالها لفائدة المرضى الذين لا يستطيعون النفقة والذين ليس لهم تأمين[٣].

وتعد الولايات المتحدة الأمريكية رائدة في مجال العمل الخيري على المستوى العالمي؛ وذلك يعود إلى عدة عوامل، منها: أن المؤسسات والمنظمات الخيرية يغلب عليها الجانب الإداري؛ يعني لها مجلس يسيرها، وصناديق تدعمها من الشركات المساهمة، وإدارتها بعيدة عن الأداء الحكومي. أيضًا وجود الاستقلالية للمؤسسات الخيرية في ممارسة نشاطها، مع الإعفاءات الضريبية للأعمال الموجهة لوجوه البر؛ سواء للمتبرع أو على الممتلكات ورأس المال،

---

(١) قحف، منذر: **الوقف الإسلامي، تطوره، إدارته، تنميته** (ص٥٢)، دار الفكر ـ سوريا، ط١، ٢٠٠٠م.
(٢) المرجع السابق (ص٥١، ٥٢).
(٣) المرجع السابق.

كما تقدم منح لهذه المؤسسات[١]. إضافة إلى التنوع الكبير في طبيعة الأعمال ومجال الخدمات التي تقدمها تلك المؤسسات بصورة واسعة النطاق.

٢ ـ المملكة المتحدة (بريطانيا):

من المعلوم أن العمل الخيري في بريطانيا له أصوله وجذوره التاريخية؛ حيث ارتبط وجود هذا العمل من قرون عدة بالنشاط الاجتماعي، والمجهود التطوعي، الذي تقيمه المجمعات المحلية والجماعات الدينية والكنائس في ذلك الوقت، كما كان لطبقة النبلاء والأثرياء في المجتمع البريطاني نصيب في تقديم المعونات والخدمات للفقراء.

ومعلوم أن قانون الفقر الإليزابيثي (The Elizabethan Poor Law)، أو ما يسمى بـ «قانون الاستخدامات الخيرية» (Law of Charitable Uses)، الذي أصدرته الملكة إليزابيث الأولى عام ١٦٠١م، من أشهر القوانين التي اهتمت بأمر الفقراء والمتسولين في أوروبا[٢]؛ لأنه نقطة هامة، ومرحلة جديدة؛ لتطور ونشأة الرعاية الاجتماعية، وتنظيم الأعمال الخيرية والمساعدات التي كان يقوم بها الأفراد والهيئات في إنجلترا؛ لكن على الرغم من هذا؛ فإن هذا القانون لم يعد مستوعبًا لكل المستجدات؛ بالإضافة أنه أُسيء استخدام هذا القانون من بعض المؤسسات الخيرية، ودور الإيواء التي أنشت للفقراء والمحتاجين؛ فضلًا عن السلوك الاستبدادي لمشرفي ومراقبي الفقراء. وكان يمكن لهذا القانون أن يعمل بفاعلية أفضل في ظل عدد السكان القليل؛ إذ يمكن تمييز الفقراء والعاطلين من غيرهم[٣].

---

(١) مومني: عبد الرحمن: **التجربة الأمريكية في الأوقاف وكيفية الاستفادة منها** (ص٢٣)، ملتقى استغلال الأملاك الوقفية في الجزائر واستثمارها، جامعة باتنة، ٢٠١٥م.

(٢) The treatment of poverty in Cambridge shire, P.152.

(٣) The treatment of poverty in Cambridge shire, P.14, 17.

وكانت نتيجة هـذا القصور في قانـون ١٦٠١م أنه قوبل برفض شـديد من قِبـل بعـض النبـلاء والأغنيـاء؛ لأنهـم يـرون فيـه عبئًـا ثقيـلًا عليهـم، فـزادت الاشكاليات عليه، وبدأ الفقراء يشـعرون بأنهم أصبحوا عالة على الأغنياء، فتم تعديل القانون عام ١٨٣٤م ليمنع الإعانة عن القادرين على العمل[١].

وتوسـعت دائرة المشـاركة فـي تأسـيس الجمعيـات الخيرية فـي بريطانيا، وكانـت فـي بدايتهـا تركـز علـى مجموعـة مـن الخدمـات الصحيـة؛ كإنشـاء المستشـفيات، ودور الأيتـام، ومنـازل الفقـراء، إلـى أن توسـعت مناشـط هذه الجمعيات لتلبي جميع احتياجات المجتمع البريطاني.

والمجتمـع البريطاني يميل بطبعه إلى توجيه دعمـه إلى المنظمات الخيرية بدل توجيهه إلى الأفراد؛ فنشـطت ثقافة العمل الخيري في المجتمع البريطاني في القرن التاسـع عشر؛ حيث سـاهم عدد كبير من نسـاء الطبقة المتوسطة في المجتمع في الأعمال التطوعية، فبلغ عددهن ما يقارب ٥٠٠,٠٠٠ امرأة تشارك بانتظام في نشـاط تطوعي، ثم بدأ عدد الجمعيات الخيرية في الازدياد، وتوسع نشـاطها؛ من مسـاعدة الفقراء، ورعاية المرضى، والجرحى؛ إلـى إيجاد حلول لمعالجة مشكلة الفقر[٢].

حتى أنشأت حكومة بريطانيا عام ١٨٥٣م ما يسمى بـ «المفوضية الخيرية» (Charity Commission)، وهي تقوم على تسـجيل الجمعيات الخيرية، وتصنف أعمالها، كما تقوم بتنظيم العمل الخيري وتوجيهه.

وقد بلغ عدد الجمعيات الخيرية البريطانيـة ١٦٨,١٨٦ ألف جمعية خيرية

---

(١) Viday Dhar Mahajan, op.cit, p.216.

(٢) الفـواز، خالد بن عبـد الله: **العمـل الخيري فـي بريطانيـا**، (ص٢٨)، ورقة بحثيـة مقدمة للقاء السنوي الحادي عشر للجهات الخيرية بالمنطقة الشرقية.

مسـجلة[١]، وبلغ دخلهم السـنوي المشـترك ٧٧,٤٠٤ مليار جنيه استرليني[٢]، ووصلت المنظمـات الخيرية المانحة إلى عشـرة آلاف منظمة، وأما الجمعيات الغير مسـجلة والتي تقوم على الجهد التطوعي فهي كثيرة أيضًـا، ولها أحقيتها بالعمل في المجتمـع البريطاني، ويعمل فـي قطاعها الخيـري قرابة ٧٧٥ ألف موظـف. وتنمو هذه الجمعيات بمعدل (١٠٠٠) جمعية تقريبًا بشـكل سـنوي، كما تجمع أكثر من ٣١ مليار جنيه إسـترليني، تصب في أعمـال خيرية متنوعة داخل وخارج بريطانيا[٣].

ويوجد ٢٢ مليون شخص بريطاني يشاركون رسـميًا في العمل التطوعي كل عام في المملكـة المتحدة، ويرونه واجبًـا وطنيًا. وتبلغ سـاعات العمل التطوعي الرسـمي ٩٠ مليون سـاعة عمل كل أسـبوع، وتقـدر القيمـة الاقتصاديـة للتطوع الرسـمي بـ ٤٠ مليار جنيـه إسـترليني سـنويًا. و٤٥٠٠ هو عدد المنـح والبرامج المالية المتوفرة للمنظمات المحلية البريطانية خـلال عام واحد، و٥٠ مليار جنيه إسترليني قيمة المنح والبرامج المالية المتوفرة للمنظمات البريطانية في عام واحد.

ولتكريس هذا الجهد يوجد للعمل الخيري في بريطانيا تجمعات واتحادات كبيرة تجمع العاملين والمهتمين بهذه الأنشطة، وتقوم بتطوير القطاع بالتدريب، والبحث، والدراسات، وبناء المعايير المهنية، مثل:

- اتحاد للجمعيات التطوعية «المجلس الوطني للمنظمات الخيرية» NCVO[٤].

---

(١) تسجيل الجمعيات الخيرية لا يتم إلا إذا زادت ميزانيتها عن خمسة آلاف جنيه إسترليني.

(٢) طبقًـا للإحصائيـات المنشـورة علـى موقـع الويـب الخـاص بالمفوضيـة الخيريـة بتاريـخ ٢٠١٨/٠٩/٣٠م: https://www.gov.uk/government/publications/charity-register-statistics/recent-charity-register-statistics-charity-commission

(٣) العمل الخيري ببريطانيا: مقال منشور على الإنترنت http://albuthi.com/blog/1010

(٤) www.ncvo-vol.org.uk

- تجمع للمنظمات الدولية الإنسانية تسمى BOND[١] ينتظم فيه ما يقرب من ٣٥٠ جمعية كلها جمعيات إنسانية.
- منظمة مساعدة المنظمات الخيرية CAF.
- رابطة المنظمات الخيرية المانحة ACF.
- معهد جمع التبرعات IF.
- مركز أبحاث التطوع IVR.

مركز أبحاث القطاع الثالث TSRC.

والمتأمل في تجربة العمل الخيري البريطاني يجد أن هناك مقومات عدة أسهمت في بناء قطاع خيري بريطاني متميز؛ حيث تمتاز منظمات العمل الخيري هناك بأنها تعمل بانسجام تام مع الحكومة؛ رغم وجود فاصل بين ما هو حكومي وما هو خيري، ويعود ذلك إلى أن الجهة المنظمة للقطاع الخيري ـ مفوضية العمل الخيري «Charity Commission» ـ تمارس المراقبة والمحاسبة، وتقوم بالتطوير والدعم، والتأكد من أن المنظمات الخيرية تسير وفق الدساتير التي وضعتها لأنفسها، وتحقق النفع العام للمجتمع.

ومع هذا الاستقلال؛ فإن العلاقة بين الحكومة والقطاع الخيري تتصف بالانسجام والثقة، ومن مظاهر ذلك: تفويض الحكومة الجمعيات الخيرية بتقديم بعض الخدمات للمجتمع، نيابة عنها، وعوضًا عن القطاع الخاص، (٦٠٪) من المنظمات الخيرية البريطانية سبق وتعاقدت مع الحكومة»[٢].

---

(١) www.bond.org.uk

(٢) الحيدري، إبراهيم: بتصرف من مقال: **هكذا تنظم بريطانيا عملها الخيري**: صحيفة الاقتصادية، ١٧ ربيع الثاني ١٤٣٤هـ، عبر الرابط: http://www.alegt.com/2013/02/26/artical_734686.html.

والمملكة المتحدة تنظر للعمل الخيري من منظور إنساني صرف، وواجب مجتمعي؛ للقيام بدوره، واستقامة أمره فقط.

ويقوم العمل الخيري غير الربحي في بريطانيا بدور مؤثر ومهم في مجالات متعددة ومتنوعة، ويغطي مساحات ومجالات كبيرة في المجتمع الذي يعمل فيه. كما يمارس دورًا فاعلًا في تنمية المجتمع؛ لأنه يعد مكونًا رئيسًا من مكوناته الأساسية التي كفلها له النظام، وساعدته في ذلك البيئة التي وفرت له الأدوات اللازمة لأداء رسالته.

ويسهم هذا القطاع في سد حاجات أفراد المجتمع المتنوعة المادية منها والمعنوية، كما أن له إسهامات فاعلة في مساندة القطاعات الأخرى (الحكومية والخاصة) في تنمية ونهضة وتطوير المجتمع.

ولم يقتصر عمل المنظمات الخيرية المانحة في بريطانيا ـ بمختلف أشكالها ـ على تقديم الأموال للجهات الخيرية فحسب؛ بل تعدى ذلك إلى الإسهام في الارتقاء بعمل المؤسسات الممنوحة وتطويرها، والرفع من مستوى العاملين فيها، وصقلهم وتأهيلهم، كما ساهمت هذه المؤسسات في نمو العمل الخيري واتساع نطاقه؛ من خلال الدعم الذي تقدمه للمؤسسات الناشئة، والتي تقدم برامج إبداعية ومتجددة[1].

الواقع اليهودي:

في التاريخ الحديث كان نشاط العمل الخيري اليهودي مرتبطًا أساسًا بالشتات اليهودي، وقد تدّعم وبشكل منظم خصوصًا مع مؤسسات:

(١) مؤسسة عبد الرحمن بن صالح الراجحي وعائلته الخيرية: **تجارب مميزة للمؤسسات المانحة البريطانية** (ص٦، ٧) بتصرف، رجب ١٤٣٠هـ/ يوليو ٢٠٠٩م.

- The Boards of Guardians ـ في إنجلترا.
- Unterstützungs-Vereine ـ في ألمانيا.
- Sociétés de Bienfaisance ـ في فرنسا.
- The United Hebrew Charities ـ في الولايات المتحدة.

بما كانت تسديه من خدمات ومعونة مادية لمختلف الفئات اليهودية المعوزة والمحرومة[١]. لقد لازم فعل الخير ـ في الديانة اليهودية ـ أبناء الملة، واقتصر على اليهود دون سواهم.

ويذكر (سترب) أن اليهود كانوا أكثر النازحين نشاطًا في إنشاء الجمعيات التي ترعى الأسر اليهودية، مما أثمر عن استحداث معاهد خاصة للتدريب على كيفية دراسة الحالات وفق الديانة اليهودية.

ونجد في الراهن «منظمة الإغاثة اليهودية العالمية» ـ World Jewish Relief ـ كبرى المنظمات الخيرية تتابع أحوال الجاليات سواء أكان موطنها في شرق أوروبا، أم في روسيا، أم في أوكرانيا، أم في غيرها من البلدان التي يتوزع فيها اليهود.

كان شُحُّ التبشير في اليهودية في الزمن الحديث مدعاة إلى إبقاء العمل الصالح وفعل الخير محصورًا أساسًا بالذين هادوا، وإن حصلت بعض التطورات في ذلك، باتجاه من والاهم وناصرهم، منذ أن غدا الإغراء بالعمل الصالح والإغاثة والأعمال الطوعية مدعاة لكسب الأنصار والموالين. لعله في هذا السياق تتفسر وفرة أعداد كبار المتبرعين من اليهود للأعمال الخيرية[٢].

---

(١) Charity and Charitable institutions. In The Jewish Encyclopedia, III, London 1902, pp. 667-676. Charity. In Encyclopedia Judaica, Keter publishing house, V, Jerusalem 1971, pp. 350-352.

(٢) تحصي مجلة ـ The Chronicle of philanthropy ـ الأمريكية لسنة ٢٠١١م خمسة عشر يهوديًا من جملة خمسين ضمن قائمة كبار المتبرعين، في وقت يمثل فيه اليهود ٢٪ من مجمل الشعب الأمريكي، أي بما يعادل ٣٠٪ من مجمل المتبرّعين.

وفي الوقت الذي غدا فيه فعل الإحسان لدى الكنيسة استراتيجية لجذب الآخر وكسب ودّه ـ بغرض استمالته للدخول في الدائرة الإيمانية ـ فإن ذلك المفهوم في تجليه الكوني الإسلامي في ثوبه الجديد لا يزال يخطو خطواته الأولى. فقد انطلق بالأساس ـ في الزمن الحديث ـ كتقليد للعمل التبشيري، وإن جاء متأخرًا، ناهيك عما تعوزه من خطط علمية تنظم سيره وتضبط أهدافه[١].

إن واقع العمل الخيري اليهودي في العصر الحديث يصعب الحديث عنه؛ حيث إنه ليس محصورًا في مجتمع واحد، ولا بلغة واحدة. كما أن تجربته تمتد على نطاق زمني واسع. كما أنه ليس بذي ميزة بنفسه؛ فهو يتشكل وفقًا للبيئة التي هو فيها، وإن حاول اليهود إقناع الناس أن لهم خاصية ما[٢].

اهتم اليهود بالعمل الإنساني ومنظماته منذ عهد مبكر. وهذه المنظمات منها ما هو ديني، ومنها ما هو اجتماعي، ومنها ما هو سياسي، ومنها ما هو عسكري، ومنها ما جمع بين ذلك كله.

كما اختلفت «أجندة المنظمات» فمنها ما لديه أجندة معلنة، ومنها ما هو سري، ومنها ما هو مفتوح للجميع، ومنها ما هو مخصص لفئة معينة.

وقد استثمر اليهود مجموعة من العوامل التي أسهمت في تحسين أوضاعهم المعيشية والاجتماعية، وانعكس ذلك على مؤسساتهم ومنظماتهم، ومن تلك العوامل:

١) التعاطف الذي كسبوه بعد الحرب العالمية الثانية باعتبارهم ضحايا المحرقة في ألمانيا النازية، فأنشأوا منظمات كثيرة لهذا الغرض، ومتاحف

---

(١) انظر: عناية، عز الدين: **الإيمان وعمل البر والإحسان في اليهودية والمسيحية والإسلام** (ص٩٣، ٩٤)، مقال منشور بمجلة التفاهم، السنة العاشرة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

(٢) انظر: الوهيبي، صالح: **الجمعيات اليهودية أسست دولة إسرائيل**، مقال منشور على الإنترنت.

ومراكز دراسات،... إلخ. ولا يزالون يستفيدون من هذا التعاطف الغربي إما رهبة منهم أو عطفًا عليهم!.

٢) واستفادوا أيضًا من الأجواء التي سادت الولايات المتحدة بالذات في الستينيات من القرن العشرين؛ فساند بعضهم حركة المطالبة بالحقوق المدنية Civil Rights Movement، وغنموا كثيرا من الحقوق التي لم ينلها بعض أهل البلاد؛ كالأمريكيين الأفارقة (السود)، أو أهل البلاد الأصليين (المسمَّوْن بالهنود الحمر سابقًا)، أو الهسبان Hispanics.

٣) اتجهوا إلى السيطرة على أسواق المال ووسائل الإعلام في الغرب، فنجحوا في ذلك إلى حد بعيد؛ مما جعل لهم اليد الطولى في (هوليوود) مثلًا. كما أن سيطرتهم على الشركات والمؤسسات الكبرى أمر مشهور.

كل هذه العوامل انعكست على أداء المنظمات التابعة لهم، وأثرت في توجهاتها وأغنتها إلى حد كبير[١].

وإذا نظرنا إلى العمل الخيري اليهودي سنقف على ما يلي:

١ ـ العمل اليهودي متطور تنظيميًا؛ إذ اعتمدت الجاليات اليهودية كثيرًا على جمعياتها نظرًا لغياب السلطة اليهودية التي تُغني تلك المجتمعات. ومن ثم يجد المراقب الجمعيات اليهودية في الغرب عمومًا تبدو عليها روح الثراء في مبانيها ومناشطها المحلية وحفلاتها الباذخة التي تُعدها لجمع ملايين الدولارات.

كما أن ما كُتب عن التجمعات اليهودية والجمعيات والمؤسسات بالإنجليزية يفوق في حجمه وتنوعه ما كتب عن العمل الإسلامي عامة. ففي

(١) انظر: المرجع السابق.

ويكيبيديا مثلًا معلومات وافرة عن كل تجمع يهودي، وكل منظمة تقريبًا، وكل فترة تاريخية،... إلخ. وهو عمل ينم عن جهد مركز ومنظم.

ولا يعني ذلك أن المنظمات لا تعاني من إشكالات؛ بل ذكر أحد الباحثين أن التحريات ترى أن ٨١٪ من الجمعيات في إسرائيل واجهت صعوبات مالية على إثر الأزمة المالية عام ٢٠٠٨م، وأن ١٢٪ أشارت إلى حدوث انخفاض شديد في مداخليها. كما أن بعض المؤسسات المانحة الداعمة للمنظمات وأعمالها إما أفلست أو تضررت فقلّ ما تقدمه من تبرعات بعد فضيحة ميدوف المالية Madoff scam عام ٢٠٠٨م حيث كانت تلك المؤسسات ضمن المستثمرين معه.

٢ ـ العمل اليهودي مغلق على اليهود أنفسهم، فقد انشغلت المنظمات اليهودية بخدمة اليهود نظرًا لما تعرضوا له من ظروف خصوصًا إبان الحرب العالمية الثانية. فالعمل اليهودي محدود في نطاق اهتماماته؛ إذ تدور اهتماماته على محورين يكاد يقتصر عليهما:

- على رعاية الجاليات اليهودية في العالم.
- وعلى مناصرة اليهود المستوطنين في فلسطين منذ أن بدأ الاستيطان من بعد الحرب العالمية الأولى إلى ما بعد إعلان قيام دولة الاحتلال عام ١٩٤٨م. ثم تحول ذلك إلى مناصرة محمومة للدولة اليهودية نفسها[1].

٣ ـ العمل اليهودي خليط من العمل الخيري والسياسي والعسكري؛ فهنالك منظمات يهودية تجمع أموالًا للمجهود العسكري والاستيطاني لدولة اليهود في فلسطين، وهنالك منظمات صهيونية ذات أجندة سياسية معلنة...

(١) انظر: المرجع السابق.

وهكذا. فهنالك منظمات تجمع أموالا للمجهود الحربي الإسرائيلي، ومنظمات لدعم المستوطنين، ومنظمات لنصرة اليهود الإسرائيليين لئلا يغادروا. وكل ذلك يمارس بشكل نظامي في الولايات المتحدة وغيرها!!

ولو نظر الباحث في أعمال الجمعيات الكبرى لوجدها لا تخرج عن هذا النطاق؛ فمنظمة أبناء العهد (بْـني بْـرِثْ B'nai B'rith) في أمريكا التي أسست عام ١٨٤٣م في نيويورك همها خدمة الجاليات اليهودية ومناصرة دولة اليهود في فلسطين المحتلة[١].

٤ ـ جاء في دراسة حول المساعدات التي تم تحويلها من الجمعيات الخيرية في الولايات المتحدة الأمريكية للكيان اليهودي للبرفسور «توماس ر. ستوفر»[٢]: أن أي جمعية خيرية معترف بها في القانون الإسرائيلي تخضع تلقائيا للإعفاءات الضريبية في الولايات المتحدة؛ وذلك تبعا لقانون ضريبة الدخل الأمريكي، وهو امتياز غير متوفر عموما لدول أجنبية أخرى[٣].

وفي نظرة إحصائية لما يمكن توفره من معلومات حول (العمل الخيري) لدى الكيان اليهودي، نجد عدد المؤسسات التطوعية والخيرية يزيد عن (٤٠,٠٠٠)، كما يزيد دخلها السنوي على ٤٠ مليار دولار، عوضًا عن آلاف المؤسسات العاملة من أجل هذا الكيان حول العالم.

توفر هذه المؤسسات داخل الكيان ما يزيد عن ٢٣٥,٠٠٠ فرصة عمل

---

(١) انظر: ويكيبيديا (الإنجليزية)، مادة: «B'nai B'rith»، في ٩/ ٥/ ١٤٣٠هـ، و: المسيري، عبد الوهاب: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية** (١٢/ ١٩٣).

(٢) توماس ر. ستوفر: يعتبر أحد أكبر الخبراء الأمريكيين بشؤون الاقتصاد والنفط المتعلقة بالشرق الأوسط، وهو أستاذ زائر لدى جامعة الاقتصاد ولدى الأكاديمية الدبلوماسية في فيينا، وكان سابقًا أستاذ في جامعة هارفرد.

(٣) **المساعدة الأمريكية لإسرائيل ـ الرباط الحيوي ـ** (ص).

بـدوام كامل للقوى العاملـة اليهودية، وهو ما يزيد عن نسـبة ١٠٪ من إجمالي العاملين لديهم.

كان عـدد الجمعيـات والمؤسسـات التطوعيـة فـي هـذا الكيان حتـى عام ١٩٩٩م، ٢٧٠٠٠ جمعيـة ومؤسسـة، ازدادت بقرابـة ١٠٠٠ جمعية ومؤسسـة سنويًا، في ظل ما يُوفر لها من حرية كاملة، ودعم خارجي ومحلي.

في عام ٢٠٠٦ بلغت مسـاهمة القطاع التطوعي نحوًا من ١٤ مليار دولار، ما يساوي ١٣,٣٪ من الناتج المحلي الإجمالي.

تبلغ قيمـة الدعم الحكومي المباشـر لهـذه المؤسسـات ٥١٪، إضافة إلى شراء الحكومة للخدمات التي تقدمها هذه المنظمات التطوعية.

هذه لمحة عـن واقع الاهتمـام التنظيمـي والحكومي في الكيـان اليهودي بالعمل الخيري، وتعويلهم عليه؛ بل واعتباره شـريكًا للقطاع الحكومي، وينظم بينهمـا مؤتمر دوري للشـراكة بيـن القطاعين يعـرف بـ «مؤتمر الشـراكة ودعم القطاع الخيري».

ويكفـي أن أشـير هنـا إلـى حجـم العمـل العمـلاق للمؤسسـات اليهودية التطوعية والخيرية حول العالم، وخصوصًـا في الولايات المتحدة، مثل: IPAC «أيباك»، والتي تؤثر بشـكل واضح بالمجتمع الأمريكي، وفي غيرها من الدول الغربية؛ لا سيما الأوروبية منها، والتي تشرف على المشاريع الخيرية والتطوعية والإعلاميـة العملاقة، والمُسَـخَّرة كلها حـول العالم لدعم والحفـاظ على هذا الكيان، وتلميع صورته حول العالم، ونحن نسـميها خيرية مجازًا فقط من باب نقل المصطلح المستخدم في تسمية مثل هذه المؤسسات[1].

(١) انظر: صبري، عكرمة سـعيد: **واقع العمل الخيـري في فلسـطين** (ص١١)، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر الخيري الخليجي الرابع، مملكة البحرين، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

وهذا العدد الهائل من الجمعيات يبين مدى عناية اليهود بمؤسسات العمل الخيري داخل الكيان اليهودي.

بل ونقلت بعض المواقع الصحفية الشهيرة عن صحيفة «ذي فورورد» أن دخل شبكة العمل الخيري اليهودي السنوي المقدر بـ ١٢ ـ ١٤ مليار دولار أكثر من الميزانية التي منحتها الحكومة الفيدرالية عام ٢٠١٤م لوزارة الداخلية بالولايات المتحدة الأمريكية.

الواقع الإسلامي:

اتسم العمل الخيري الإسلامي في المنطقة العربية في مراحله الأولى الطابع الفردي، أو الجماعي غير المنظم. وقد ترتب على ذلك وجود مشكلات عديدة، في عدم الترتيب والتنظيم.

لكن شهدت السنوات الأخيرة اتجاهًا جديدًا يعمل على تلافي تلك المشكلات، ويتجه نحو تنظيم العمل الخيري في إطار ممنهج، وما زال العمل على هذا التجديد مستمر وفي تقدم.

إن ماكس فيبر عندما وضع كتابه عن الإسلام تنبأ بأن الإسلام سيلعب دورًا مميزًا في نهضة الشرق، وازدهار العالم؛ بسبب تشديده على العمل، على عكس ما كانت تنادي به بعض الأديان والمذاهب؛ كالمذهب الكاثوليكي في الديانة المسيحية، الذي يركز على العبادات والمعتقدات الروحية، وكتشديد على أهمية العمل في تطور المجتمعات[١].

(١) انظر: رسلان، صلاح: الفقر.. **جذوره وسبل علاجه ـ رؤية إسلامية ـ** (ص٤٢٢)، ورقة قدمت إلى الفقر في مصر ـ الجذور والنتائج واستراتيجيات المواجهة ـ، دار الفكر العربي ـ القاهرة، ٢٠٠٠م.

مما سبق يتبين أن العمل الخيري الإسلامي الحديث، ذي الصبغة العالمية، يعتبر في مراحله الأولى؛ من حيث انبناؤه على قواعد مؤسساتية، وتحركه ضمن برامج مضبوطة، وغايات محددة؛ فضلًا عمّا يلاقيه ذلك العمل الصالح من ادعاءات مغرضة وتشكيك، بما يؤثر على توسّعه، ويحدّ من فعاليته.

فالتهمة المغرضة التي طالت منظمات العمل الخيري الإسلامي هي بالأساس أمنية، كونها داعمة للإرهاب وللحركات الأصولية، ما جعل عديدًا من الأنشطة التابعة لتلك المنظمات تبقى وجلة في تدخلاتها، وتجد عراقيل جمعة في معاملاتها المالية، على خلاف الأنشطة التابعة للكنائس التي تتحرك طليقة.

باعدت تلك الشقة بين العوالم الحضارية؛ حتى انعكست آثارها على الأديان الثلاثة، فانبرت كل ديانة مشغولة بعمل الخير وفق منظورها، وداخل الأوساط التي تقدّر تنامي أنصارها فيها، أو تتدعّم فيها مصالحها، ما جعل فعل الخير مصدر تصادم، ومدعاة للانتقادات بينها ـ خاصة من الطرف المتضرر ـ أكثر منه مجلبة للأُلْفة والتعاضد بينها، رغم ما يتبدى من تقارب قيمي وروحي بينها[1].

نماذج من واقع العمل الخيري في البلاد الإسلامية:

١ ـ المملكة العربية السعودية:

العمل الخيري والتنموي في المملكة العربية السعودية ذو تاريخ عريق وقديم، وله دور كبير، وأثر ملموس على مستوى دول العالم؛ وخاصة الإسلامي منها.

وقد بلغت عدد الجمعيات الأهلية، ومكاتب ومراكز الدعوة والتحفيظ: (١٩٤٦)؛ طبقًا لآخر الإحصائيات عام ١٤٤٠هـ.

---

(١) انظر: عناية، عز الدين: **الإيمان وعمل البر والإحسان في اليهودية والمسيحية والإسلام** (ص٩٣، ٩٤)، مقال منشور بمجلة التفاهم، السنة العاشرة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

ومع النمو المطرد، والتطور الملحوظ لمؤسسات العمل الخيري في المملكة العربية السعودية؛ وخاصة في السنوات الثلاث الأخيرة، نجد أن المؤسسات الأهلية بلغت (١٩٦) مؤسسة مانحة؛ حتى منتصف عام ١٤٤٠هـ؛ وفقًا لآخر إحصاء لدى وزارة الشؤون الاجتماعية[١]، منتشرة في أنحاء المملكة؛ بالإضافة للأوقاف الخاصة، ومكاتب المسؤولية الاجتماعية بالشركات، والمكاتب الخيرية الخاصة، وتمنح سنويًا مبالغ تتجاوز الثلاثة مليار ريال سعودي؛ حتى أصبحت أحد أهم المكونات الأساسية للقطاع غير الربحي.

وقد كان لإنشاء المجامع والهيئات المساهمة الكبرى في بذل الخير والقيام به؛ كمنظمة التعاون الإسلامي التي أنشئت عام ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٩م، واحتضنتها المملكة العربية السعودية في العام الذي يليه ١٣٨٠هـ/ ١٩٧٠م عبر مؤتمر إسلامي لوزراء الخارجية في جدة، وهو الأول من نوعه، وقرروا إنشاء أمانة عامة يكون مقرها في جدة، ويرأسها أمين عام للمنظمة.

وكالبنك الإسلامي للتنمية؛ حيث انطلق عن مؤتمر وزراء مالية الدول الإسلامية، الذي عقد في مدينة جدة، في شهر ذي القعدة ١٣٩٣هـ (ديسمبر ١٩٧٣م). وانعقد الاجتماع الافتتاحي لمجلس المحافظين في مدينة الرياض، في شهر رجب ١٣٩٥هـ (يوليو ١٩٧٥م)[٢].

ويأتي في صدارة هذه الكيانات الخيرية «مركز الملك سلمان بن عبد العزيز للإغاثة والأعمال الإنسانية»، والذي بدأ كبيرًا ـ بفضل الله أولًا، ثم بفضل تاريخ الملك سلمان بن عبد العزيز ـ في العمل الخيري؛ حيث أخذ على عاتقه نصرة الإسلام والمسلمين في كل مكان. ومن جميل ما يسطر هنا كلمته ـ أيده الله ـ؛

(١) انظر: الموقع الرسمي لوزارة العمل والتنمية الاجتماعية: https://mlsd.gov.sa/ar/services/615

(٢) أوغلي، أكمل الدين إحسان: **العالم الإسلامي وتحديات القرن الجديد ـ منظمة التعاون الإسلامية ـ**، الفصل الثاني (ص٤٢)، دار الشرق ٢٠١٣م.

حيث يقول في هذا الشأن: «فقد ظلت المملكة العربية السعودية منذ أن أسسها الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ تسعى لخدمة قضايا المسلمين في شتى بقاع العالم، وقد سخرت لهذا الهدف النبيل ثقلها ووزنها الحضاري والاقتصادي، وعبر السنين لم تمر أي دولة إسلامية أو أقلية إسلامية في أي دولة بمحنة أو حرب أو كارثة إلا وكانت حكومة المملكة وشعبها في مقدمة من يدعمها، ويشد من أزرها، ويضمد جراحها، ويتبنى قضيتها؛ وذلك انطلاقًا من واجبها الإيماني الذي تقوم به بوصفها مهبطًا للوحي، ومهوى لقلوب المسلمين الذي يرون في هذه البلاد وأهلها كل خير وعطاء، واهتمام بأحوالهم، واتصالًا وثيقًا بهم»[(١)].

وتبلغ ميزانية المركز: ٢ مليار ريال سعودي (٥٠٠ مليون دولار)، ويعمل بتكليف مباشر من الملك سلمان. ويعد المركز منظمة مستقلة وغير هادفة للربح. وقدم المركز منذ إنشائه الكثير من المساعدات الإنسانية والإغاثية والإنمائية لأكثر من ٤٤ دولة حول العالم، كما تم تنفيذ العديد من البرامج والمبادرات الإنسانية، لإيصال المساعدات الإغاثية لملايين المستفيدين في جميع أنحاء العالم.

وقد وصل إجمالي مساعدات مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية إلى (٣,٤٣٩,١٣٩,٣٣٢) دولارًا أمريكيًا، على شكل منح إنسانية وإغاثية للعديد من دول العالم، شملت ١٣ قطاعًا. صنفت هذه القطاعات بحسب معايير منصة التتبع المالي التابعة للأمم المتحدة (UNFTS)، ولجنة المساعدات الإنمائية لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (DAC-OECD)[(٢)].

---

(١) وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد: **من جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله**، (ص١٥).

(٢) انظر: موقع مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية https://www.ksrelief.org/home/index، وتقرير المساعدات الإنسانية والإغاثية (٢٠١٥ ـ ٢٠١٧م) الصادر من المركز، استبانة دراسة مركز الملك سلمان أعدها الباحث.

وعلى صعيد العمل الخيري عامة؛ فقد شهدت المملكة العربية السعودية حراكًا تنمويًا واقتصاديًا متمثلًا في رؤية ٢٠٣٠، والتي أطلقها خادم الحرمين الملك سلمان بن عبد العزيز ـ أيده الله ـ، وأدارها صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان ـ حفظه الله ـ، والتي تزامنت مع عدة قرارات من مجلس الوزراء؛ حيث صدر القرار رقم (٦١) بتاريخ ١٨/ ٢/ ١٤٣٧هـ والمصدَّق عليه بالمرسوم الملكي رقم (م/٨) وتاريخ ١٩/ ٢/ ١٤٣٧هـ باسم نظام الجمعيات والمؤسسات الأهلية.

كما صدر مؤخرًا نظام الهيئة العامة للأوقاف الصادر بقرار من مجلس الوزراء رقم (٧٣) بتاريخ ٢٥/ ٢/ ١٤٣٧هـ والمصدَّق عليه بالمرسوم الملكي رقم (م/ ١١) وتاريخ ٢٦/ ٢/ ١٤٣٧هـ، ويعتبر هذا الكيان مصدر فخر لبلادنا؛ لأنه يرعى شعيرة من شعائر الإسلام، ويُسهم في ازدهار اقتصاد البلاد والعباد، فيستحق دعمه بالدراسات والأطروحات، وكل ما يُسهم في إنجاز أهدافه، وتحقيق رؤيته التي نص النظام عليها؛ وخاصة ما ورد في المادة الثالثة أنها «تهدف إلى تنظيم الأوقاف، والمحافظة عليها، وتطويرها؛ وتنميتها؛ بما يحقق شروط واقفيها، ويعزز دورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتكافل الاجتماعي؛ وفقًا لمقاصد الشريعة الإسلامية والأنظمة».

وقد استثمرت المملكة ـ حفظها الله ـ منذ تأسيسها مسؤولياتها في خدمة دين الله، والقيام بشؤون المسلمين، ولم تزل ـ ولله الحمد والمنة ـ قائمة بذلك في مختلف قارات العالم؛ حيث لا يكاد تجد بلدًا في العالم إلا ولبلادنا أثرًا مباركًا وكريمًا فيه، وخدمة لأهله بشكل عام، والمسلمين منهم بشكل خاص.

لذلك نحن نشهد في بلادنا المباركة المملكة العربية السعودية سنةً تاريخيةً شاملةً في العمل الخيري، مستحضرة جهود الماضي، ومواكبة لأدوات الحاضر، مستهدفةً الإتقان في المستقبل، ولا غرو في ذلك؛ فلهذه البلاد خصائصها التي تفردت بها؛ فهي مهد الإسلام، وفيها ولد وبُعث خير نبي ورسول ﷺ، وفيها

أعظم البقاع وأشرفها في الأرض، يقول ربنا سبحانه: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

٢ ـ الكويت:

العمل الخيري في الكويت بات معلمًا رئيسيًا من معالمها، بعد أن تحول من مجرد مبادرات فردية إلى أعمال مؤسسية، تقوم عليها هيئات وجمعيات ومؤسسات مختلفة.

وتطور العمل الخيري في الكويت خلال القرن العشرين، متأثرًا بالنمو المتسارع للحركات الاجتماعية في الكويت ومنطقة الخليج عامة؛ بالإضافة إلى النتائج الاقتصادية والاجتماعية للطفرة النفطية[(١)].

وبناءً على ذلك؛ استطاعت الكويت إحداث تطوير فعال وكفء على بنية القطاع الخيري وأنشطته؛ حيث أنشئت الأمانة العامة للأوقاف في عام ١٩٩٣م، كجهة تابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، واستطاعت تحقيق طفرة هامة في مجال العمل الخيري؛ حيث عملت على المزاوجة بين الموروث الفقهي ومستجدات العصر، وهي من التجارب الإسلامية الرائدة في عصرنا الحاضر، كما قامت بتنمية موارد الأوقاف وتنويع مصارفه؛ وبالتالي، استحقت التكليف الرسمي من قبل منظمة المؤتمر الإسلامي عام ٢٠٠٩م بالإشراف العام على ملف الوقف في دول العالم الإسلامي؛ كدراسة، وبحث، وتوثيق، وأرشيف، ومعلومات، وأطلس لقضايا الوقف.

---

(١) ليلة، علي: **المجتمع المدني في دول مجلس التعاون الخليجي** (ص١٦٠)، مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية ـ البحرين، ٢٠٠٥م.

كما تمكنت المؤسسات الخيرية الكويتية من الانخراط في شراكات مثمرة مع الحكومة؛ فأنشئت مؤسسات خيرية بمبادرات حكومية، مثل: بيت الزكاة الكويتي.

وتمكنت أيضًا المؤسسات الخيرية الكويتية ـ حتى وقت قريب ـ، من تحقيق قدر من الاستقلالية المالية عن الحكومة. فلم يكن التمويل الحكومي سوى أحد مصادرها المتنوعة؛ وبالتالي استقلت في قراراتها؛ مما أعطاها الشفافية والمهنية في إدارة القطاع الخيري.

وبالرغم من ذلك؛ فإن أحداث الحادي عشر من سبتمبر قد جلبت على المؤسسات الخيرية التضييق الحكومي، متمثلًا في الرقابة المالية والإدارية المشددة؛ حيث أنشئ مجلس أعلى لتنظيم عمل جمعيات النفع العام واللجان الخيرية في أكتوبر ٢٠٠١م. كما أصدرت عديد من القوانين المنظمة لحركة جمع التبرعات وتحويلها للخارج. وقد تمكنت المؤسسات الخيرية الكويتية من انتزاع اعتراف أمريكي بقانونية تحويلاتها وأنشطتها الخارجية؛ إلا أنها لا زالت تشكو من القيود المالية التي تعوق حركتها المحلية والخارجية[١].

وتوجد عدة صور للمؤسسات الخيرية في الكويت[٢]:

١ ـ **المبرات**: وهي في جوهرها أوقاف مسجلة في وزارة الشؤون الاجتماعية، يؤسسها أفراد أو أسر يحتفظون بأسمائهم أو مقادير تبرعاتهم سرًا.

٢ ـ **مؤسسات النفع العام ذات الأذرع الخيرية**: وهي تحظى بالثقة بين الكويتيين. وتشمل: الجمعيات النسائية، ولجان الزكاة، والمؤسسات الدينية الشيعية والسنية.

---

(١) المرجع السابق (ص١٨٨، ١٨٩).

(٢) خفاجي، ريهام أحمد: **العمل الخيري الخليجي.. النشأة والتطور** (ص٣٤)، بحث منشور بمجلة مداد، العدد الأول.

٣ ـ المبادرات الخيرية الحكومية: بمعنى الكيانات التي تنشئها الحكومة وتديرها لصالح الأعمال الخيرية، ويأتي على رأسها: الأمانة العامة للأوقاف، وبيت الزكاة. وتعد من أبرز كيانات القطاع الخيري مهنية ومؤسسية.

٤ ـ العمل الخيري التابع للقطاع الخاص والشركات: ولا يزال يدار من خلال أقسام داخلية في الشركات، ولم يخرج على نطاق واسع إلى مرحلة الكيانات المؤسسة المستقلة. وتضم ـ على سبيل المثال ـ: مبادرات البنك الوطني الكويتي، وشركة زين للاتصالات، ومؤسسة الكويت للتنمية العلمية.

٥ ـ الجمعيات الاجتماعية والخيرية: وهي مصدر هام للدعم والرعاية الاجتماعية لفئات وقطاعات سكانية، أو لقطاعات اجتماعية لم تصل لها خدمات الدولة، ومن أبرزها: الجمعية الخيرية للتضامن الاجتماعي، والهلال الأحمر.

وبالإضافة إلى المؤسسات الخيرية المسجلة، توجد تكوينات مدنية غير مسجلة، مثل: الحسينيات، والديوانيات، وهي تقدم خدمات ثقافية ودينية واجتماعية للمنتمين إليها. وبرغم انتشارها على نطاق واسع؛ إلا أنه يصعب رصدها؛ بسبب الطبيعة غير الرسمية لخدماتها.

٣ ـ مصر:

يعتبر النشاط الأهلي في مجال الرعاية الاجتماعية قديماً ومعاصراً لنشأة المجتمع المصري الحديث، وقد عرف الإنسان بميله للتعاون مما دعا إلى مؤازرة جهود غيره من الأفراد لمواجهة المشكلات التي يتعرضون لها في محاولة إيجاد حل لها.

وللعمل الأهلي التطوعي في مصر تاريخ حافل ينبع من الخير المتأصل في نفوس أهلها والقيم والمبادئ الإنسانية والوطنية المستقرة في وجدانهم. وترجع

نشأة الجمعيات الأهلية في مصر إلى سنة ١٨٢١ حين تأسست أول جمعية أهلية في مصر هي الجمعية اليونانية بالإسكندرية فكانت البادرة الأولى لقيام تنظيم شعبي يختلف عن التنظيمات الشعبية التي كانت معروفة في المجتمع المصري آنذاك والتي كانت تتمثل في الطرق الصوفية.

وحينما تعرضت مصر للاحتلال البريطاني في عام ١٨٨٢م برزت أهمية الجمعيات الأهلية واستطاعت أن تنهض بدور رئيسي وفعال في مختلف المجالات الاجتماعية والتعليمية والصحية والثقافية. وقد وجد الزعماء السياسيون في تلك الجمعيات حينئذ السبيل لتحقيق أهدافهم، فسارعوا إلى تكوينها ودعمها بكافة السبل بمشاركة جادة من الأفراد والأعيان وفئات الشعب المختلفة بعد أن تأكد لهم عظمة الدور الذي تقوم به الجمعيات الأهلية في دعم الحركة الوطنية وفي النهوض بالعلوم والفنون والآداب والثقافة إلى جانب ما تؤديه من خدمات الرعاية الاجتماعية.

وقد أوقف العديد من المصريين العقارات لصالح تلك الجمعيات وتبرعوا لها بمبالغ ضخمة من أجل تحقيق أهدافها. وبفضل جهود المواطنين وتبرعاتهم استطاعت تلك الجمعيات أن تنشئ المدارس بمختلف مراحلها والمستشفيات والعديد من المؤسسات الاجتماعية. ومن أمثلة تلك الجمعيات الجمعية الخيرية الإسلامية وجمعية المساعي الخيرية القبطية والعروة الوثقى والمساعي المشكورة وجمعية المواساة وجمعية الهلال الأحمر المصري وغيرها.

وإلى جانب هذا الدور فإن الجمعيات الأهلية مثلت في تلك الفترة مؤسسات للتنشئة السياسية. قبل مرحلة نشأة الأحزاب السياسية وذلك من خلال تبنيها لقضايا الهوية المصرية والوحدة الوطنية كمضامين رئيسية في الثقافة السياسية المصرية.

ولقد كان لصدور دستور سنة ١٩٢٣ أثر بالغ في تنشيط العمل الأهلي التطوعي في مصر إلى الحد الذي وصفت فيه الفترة ما بين ١٩٢٣ إلى ١٩٥٢ بأنها مرحلة ازدهار العمل الأهلي في مصر. ويرجع ذلك إلى أن دستور ١٩٢٣ الذي استند إلى صيغة علمانية قد اعترف بحق المصريين جميعاً في تأسيس الجمعيات. فتميزت هذه المرحلة بإطلاق حركة تكوين الجمعيات الأهلية في إطار تشريعي يفرق بين ثلاثة أنواع من الجمعيات الأهلية:

- **الأولى**: هي الجمعيات ذات الطابع العسكري التي تعمل لخدمة حزب أو مذهب سياسي معين وقد حظر المشرع المصري آنئذ قطعياً قيام هذه الجمعيات بمقتضى القانون رقم ١٧ لسنة ١٩٣٨.

- **الثانية**: هي الجمعيات المدنية وقد أبيح لها ممارسة كافة الأنشطة التي تستهدف الحصول على ربح مادي وتتمتع بكافة الحقوق التي يتمتع بها الشخص الاعتباري. وتنظم قيامها وأنشطتها أحكام المواد من ٥٤ إلى ٦٨ من القانون المدني المصري.

- **الثالث**: هي الجمعيات الخيرية والمؤسسات التي يخصص مالها لمدة غير معينة لأعمال الخير والنفع العام وقد أخضعها المشرع المصري لأحكام القانون المدني في المواد ٦٩ إلى ٧٨ وأخضعها لرقابة الدولة وينظم قيامها وأنشطتها قانون خاص ويندرج تحت هذا النوع من المؤسسات الملاجئ ومؤسسات رعاية الأحداث.

وهذا يعني أن فكرة الجمعيات الأهلية كانت في بداية الأمر عبارة عن الجهود التطوعية يقوم بها مجموعة من الناس تتوفّر فيهم شروط وصفات المتطوعين. وكذلك اتضح أيضاً من المصريين وهم الأوائل في إنشاء فكرة العمل التطوعي كما جاء في الحضارة المصرية الفرعونية قديماً، تم تطور عبر

المراحل التاريخية إلا أنّه وصل في الوقت المعاصر في شكل الجمعيات الأهلية والمؤسسات والمنظمات الغير الحكومية.

وبالرغم من أن مصر قد تعرضت لبعض الحروب والمشكلات قبل ظهور الجمعيات الأهلية إلا أن ملامح العمل التطوعي والرعاية الاجتماعية كوسيلة للقضاء على تلك المشكلات.

وتتعدد الجهات التي تمارس العمل الخيري في مصر، ما بين:

ـ **جهات حكومية**: متمثلة في وزارة التضامن الاجتماعي، ووزارة الأوقاف، وغيرها.

ـ **جهات منظمة**: أي تمارس العمل الخيري بشكل منظم، مثل: الجمعيات والمؤسسات الخيرية.

ـ **جهود غير منظمة**: في شكل جهود فردية غير خاضعة لأي جهات حكومية أو مؤسسات أو جمعيات، وغالبًا ما يقوم بها الأفراد في سرية؛ إيمانًا بأن الأجر والثواب عند الله ﷻ.

وقد نشرت دراسة[1] تحكي عدد الجمعيات الأهلية المسجلة في وزارة التضامن الاجتماعي:

ـ عام ٢٠١٢ بأنها (٣٧,٥٠٠ ألف) جمعية أهلية

ـ عام ٢٠١٣ ارتفع إلى (٤٣,٥٠٠ ألف) جمعية ومؤسسة أهلية

ـ عام ٢٠١٩ ارتفع هذا العدد إلى **٥٠٥٧٢** جمعية أهلية

(١) دراسة نشرت على موقع الهيئة العامة للاستعلامات تحت عنوان: «واقع العمل الأهلي في مصر الفرص والتحديات».

موضحة أن الملاحظ من هذا التطور الكمي أنه حدث في إطار القانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢، والذى كان محل انتقاد كبير من قبل كثير من العاملين في القطاع الأهلى باعتبار أنه كان يحوى موادًا مقيدة للعمل الأهلى بدرجة ما بل الأمر الأكثر غرابة أن الفترة البينية ما بين صدور القانون رقم ٧٠ لعام ٢٠١٧ والقانون الجديد شهدت زيادة مقدارها ٢٩٩٢ جمعية مقارنة بأعداد الجمعيات لعام ٢٠١٧ حيث كانت ٤٧٥٨٠ جمعية، مما يشير إلى استمرار النمو الكمي للجمعيات الأهلية بغض النظر عن الإطار القانونى ومدى ما يتيحه من حرية حركة.

وقد ازدهر العمل التطوعي ونشطت الجمعيات الأهلية كمؤسسات للتنشئة الثقافية والسياسية والاجتماعية. فتزايدت أعدادها وتنوعت أنشطتها في مجالات الثقافة والخدمات والتنمية الاجتماعية، واستطاعت بفضل حرية العمل الأهلي اجتذاب أعداد كبيرة من الأعضاء وأن تغطي بفروعها المختلفة أغلب أقاليم مصر.

الخاتمـة

تتبع وتقصي أصول الأشـياء له خصوصيته وجماله وهـذا ما اتضح في ثنايا هذا الكتاب الـذي اختمه وأنا مبتهج ـ بفضـل الله وحده ـ في الوصول لقاعدة مشـتركة تسـتند لقواعـد صلبة وهي الأديـان في موضـوع هو لصيق لحياة الكاتب؛ فقد تم تحريـر مفهوم العمل الخيري، وتوضيح مشـروعيته، وضوابطـه في الإسـلام، كما تـم الوقـوف على طبيعـة العمل الخيـري عند اليهود والنصارى ونماذجه.

وتم عقـد مقارنات بين العمـل الخيري في الديانـات الثلاث، من خلال النصوص المقدسـة، وما يدور في فلكها مـن الأحكام والتعاليـم والمبادئ، وختمنا هذا الكتاب بذكر بعض النماذج المعاصرة لتطبيقات العمل الخيري.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،،،

للتواصل مع المؤلف
Ibrahimmohssn@gmail.com
@ibrahim_mohssn

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

١ ـ **القرآن الكريم.**

٢ ـ الشامي، رشاد عبد الله: **الوصايا العشر في اليهودية ـ دراسة مقارنة في المسيحية والإسلام ـ**، دار الزهراء للنشر ـ القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٣ ـ النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب: **السنن الكبرى**، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مراجعة: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٤ ـ بدران، بدران أبو العينين: **العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين في الشريعة الإسلامية واليهودية والمسيحية**، مؤسسة شباب الجامعة ـ الإسكندرية، ١٩٨٤م.

٥ ـ الموحي، عبد الرزاق رحيم صلال: **حقوق الإنسان في الأديان السماوية**، دار المناهج.

٦ ـ النيسابوري، مسلم بن الحجاج: **المسند الصحيح (صحيح مسلم)**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٧ ـ ابن ماجه، أبو عبد الله محمد: **سنن ابن ماجه**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٨ ـ عمارة، محمد: **قاموس المصطلحات الاقتصادية**، دار الشروق ـ القاهرة.

٩ ـ الطوفي، نجم الدين: **شرح روضة الناظر**، ١٩٨٧م.

١٠ ـ السباعي، مصطفى: **اشتراكية الإسلام**، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.

١١ ـ جيفرسون، توماس جيتس، **موسوعة أديان العالم ـ الفرق والأديان والمذاهب ـ**.

١٢ ـ صالح، عبد القادر: **العقائد والأديان**، دار المعرفة ـ بيروت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١٣ ـ الخشاب، سامية مصطفى: **النظرية الاجتماعية ـ دراسة الأسرة ـ**، دار المعارف ـ القاهرة.

١٤ ـ غباري، محمد سلامة: **الخدمة الاجتماعية ورعاية الأسرة والطفولة والشباب**، المكتب الجامعي الحديث ـ الإسكندرية، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

١٥ ـ التير، مصطفى عمر: **مسيرة تحديث المجتمع الليبي ـ مواءمة بين القديم والحديث ـ**، معهد الإنماء العربي ـ بيروت، ١٩٩٢م.

١٦ ـ ابن منظور، جمال الدين: **لسان العرب**، طبعة دار المعارف ـ مصر.

١٧ ـ أبو النصر، مدحت: **الإعاقة الاجتماعية ـ المفهوم والأنواع وبرامج الرعاية ـ**، مجموعة النيل العربية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

١٨ ـ أبو حبيب، سعدي: **القاموس الفقهي**، دار الفكر ـ دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٩ ـ أبو داود، سليمان بن الأشعث: **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية ـ بيروت.

٢٠ ـ الأزدي، علي بن الحسن: **المنجد في اللغة والأعلام**، دار المشرق ـ بيروت، ١٩٩٧م.

٢١ ـ الأزهـري، محمد بـن احمد الـدوي: **تهذيـب اللغة**، تحقيـق: محمد عوض مرعب، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ٢٠٠١م.

٢٢ ـ الأشـقر، أسـامة عمر: **تطوير المؤسسـة الوقفية الإسـلامية في ضوء التجربة الخيرية الغربية**، دار النفائس ـ الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

٢٣ ـ الأشقر، أسامة عمر: **مؤسسات وقفية رائدة ـ تجارب ودروس ـ**، شركة آفاق الأوقاف، الطبعة الثانية، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.

٢٤ ـ الألباني، محمد ناصر الدين: **سلسـلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، مكتبة المعارف ـ الرياض، الطبعة الأولى.

٢٥ ـ الألبانـي، محمد ناصـر الدين: **صحيـح الجامـع الصغير وزيادتـه**، المكتب الإسلامي ـ بيروت.

٢٦ ـ الألبانـي، محمـد ناصـر الديـن: **صحيح سـنن أبـي داود**، مؤسسـة غراس ـ الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٧ ـ البخـاري، محمد بـن إسـماعيل: **الجامـع المسـند الصحيـح (صحيـح البخاري)**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٨ ـ البلوي، سـلامة محمـد: **رعاية الفئـات الخاصة**، مكتبة الصحابة ـ الشـارقة، ٢٠٠٣م.

٢٩ ـ بن حنبـل، أحمد: **المسـند**، تحقيق: شـعيب الأرنـاؤوط وآخرون، مؤسسـة الرسالة ـ دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٣٠ ـ بنتاجة، محمد: **استكشاف المسيحية الأولى**، دار دروب للنشر والتوزيع.

٣١ ـ البيهقـي، أبو بكـر أحمد بن الحسـين: **السـنن الكبرى**، تحقيـق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٣٢ ـ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين: **معرفة السنن والآثار**، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي ـ باكستان، دار قتيبة ـ دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٣٣ ـ الترمذي، محمد بن عيسى: **الجامع الكبير (سنن الترمذي)**، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت، ١٩٩٨م.

٣٤ ـ الحاكم، أبو عبد الله محمد: **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٣٥ ـ الخصاف، أبو بكر: **أحكام الأوقاف**، مطبعة ديوان عموم الأوقاف المصرية ـ القاهرة، ١٣٢١هـ/ ١٩٠٤م.

٣٦ ـ الخلف، سعود: **دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية**، الطبعة الخامسة، دار أضواء السلف ـ الرياض، ١٤٢٧هـ.

٣٧ ـ ابن خزيمة، أبو بكر محمد: **صحيح ابن خزيمة**، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٣٨ ـ الرازي، أبو بكر: **مختار الصحاح**، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون ـ بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٣٩ ـ السباعي، مصطفى: **من روائع حضارتنا**، دار الوراق ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٤٠ ـ السلومي، محمد: **القطاع الثالث والفرص السانحة ـ رؤية مستقبلية ـ**، الطبعة الأولى، مركز القطاع الثالث ـ الرياض، ١٤٣٠هـ.

٤١ ـ السلومي، محمد: **ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب**، كتاب مجلة البيان.

٤٢ ـ ابن شبة، عمر: **تاريخ المدينة**، تحقيق: فهيم شلتوت، طبعة السيد حبيب محمود أحمد ـ جدة، ١٣٩٩هـ.

٤٣ ـ الفيومي، أحمد بن محمد: **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المكتبة العلمية ـ بيروت.

٤٤ ـ **الكتاب المقدس** ـ العهد الجديد والعهد القديم ـ.

٤٥ ـ كفافي، حسين: **مصر المحبة والسلام بين المسيحية والإسلام**، مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر، ١٩٩٦م.

٤٦ ـ لجنة الأوقاف ـ غرفة الشرقية: **المؤسسات الوقفية في المملكة المتحدة**، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٧م.

٤٧ ـ مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط**.

٤٨ ـ محمد شمس الدين أحمد وآخرون: **دراسات في خدمة الجماعة**، الطبعة الأولى، دار عقل للطباعة ـ مصر، ١٩٨٦م.

٤٩ ـ ابن عاشور، محمد الطاهر: **التحرير والتنوير**، الطبعة الأولى، الدار التونسية للنشر ـ تونس، ١٩٨٤م.

٥٠ ـ المطيري: بدر ناصر: **التجربة البريطانية في العمل الخيري والتطوعي**، الأمانة العامة للأوقاف ـ الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٥١ ـ مؤسسة عبد الرحمن بن صالح الراجحي وعائلته الخيرية: **تجارب مميزة للمؤسسات المانحة البريطانية**، رجب ١٤٣٠هـ/ يوليو ٢٠٠٩م.

٥٢ ـ برنامج الأمم المتحدة: **تقرير حالة التطوع في العالم ـ تحويل الحوكمة ـ** ٢٠١٥.

المقالات والأبحاث:

١ ـ صبري، عكرمة سعيد: **واقع العمل الخيري في فلسطين**، ورقة عمل مقدمة للمؤتمر الخيري الخليجي الرابع، مملكة البحرين، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢ ـ خفاجي، ريهام أحمد: **المؤسسات المانحة العالمية.. بين الليبرالية الأمريكية والإدماجية الألمانية**، ضمن بحوث ملتقى الجهات المانحة (آفاق جديدة لمستقبل أفضل)، المملكة العربية السعودية ـ المدينة المنورة.

٣ ـ ديبيل، كينيث: **تنظيم القطاع غير الربحي ـ المنظور العالمي ونموذج المملكة المتحدة ـ**، المنتدى السادس لتطوير القطاع غير الربحي.

٤ ـ آل مضحي، جميلة بنت ناصر: **مقصد الإحسان وتطبيقاته في حياة المسلمين وتشريعاتهم**، مجلة الجمعية الفقهية السعودية، العدد (٤٤).

٥ ـ البريثن، عبد العزيز بن عبد الله: **التوافق بين قيم الخدمة الاجتماعية وبعض القيم في الأديان السماوية والمعتقدات الدينية**، مجلة جامعة جازان فرع العلوم الإنسانية، المجلد (٣)، العدد (٢).

٦ ـ الحاتمي، مفيدة مسعود: **رؤية تاريخية لتطور الرعاية الاجتماعية في ظل الأديان السماوية والعصر الحديث**، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة طرابلس ـ كلية الآداب، العدد (٦).

٧ ـ ابجطيط، محمد: **التكافل الاجتماعي بين الإسلام والمسيحية ـ دراسة فقهية مقارنة ـ**، مجلة التراث، العدد (٣٢).

٨ ـ عناية، عز الدين: **الإيمان وعمل البر والإحسان في اليهودية والمسيحية والإسلام**، بحث منشور بمجلة التفاهم، العدد (٣٥).

٩ ـ الفواز، خالد بن عبد الله: **العمل الخيري في بريطانيا**، ورقة بحثية مقدمة للقاء السنوي الحادي عشر للجهات الخيرية بالمنطقة الشرقية.

١٠ ـ موقع تريزيا: **العدالة في تعليم الكنيسة الاجتماعي**، ٤ تشرين أول ٢٠١٠م، نسخة محفوظة ٠٥ مارس ٢٠١٦م على موقع واي باك مشين.

١١ ـ يعقوب، ميلاد سامي: **هل يوجد مجتمع مدني في مصر؟** دراسة للعلاقة بين منظمات المجتمع المدني والدولة، مجلة أحوال مصرية، السنة ٨، العدد٩. مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ٢٠٠٥، القاهرة.

١٢ ـ لا بيلا، جاني: **مفاهيم الخير في المسيحيات الحديثة والمعاصرة من أجل بيداغوجيا للإحسان**، مقال منشور بمجلة التفاهم، العدد (٣٦).

١٣ ـ غانم، إبراهيم البيومي: **الرؤية القرآنية لمجتمع الخير العام**، مقال منشور بمجلة التفاهم، العدد (٣٥).

١٤ ـ الحيدري، إبراهيم بن سليمان: **تجربة بريطانيا في إدارة العمل الخيري**، مقال منشور بمجلة البيان، ربيع الآخر ١٤٢٥هـ/ يونيو ٢٠٠٦م.

١٥ ـ الحيدري، إبراهيم: **هكذا تنظم بريطانيا عملها الخيري**: مقال منشور بصحيفة الاقتصادية، ١٧ ربيع الثاني ١٤٣٤هـ.

عن المؤلف

• إبراهيم بن علي المحسن من مواليد مدينة الدلم.

• تخصص اكاديميا في المنح المالية حتى درجة الدكتوراه من جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.

• تمتد خبرته لأكثر من (١٢) في المؤسسات المانحة والأوقاف، وفي القطاع الحكومي ٨ سنوات وفي القطاع الخاص ٣ سنوات، كما شارك في صنع قرارات المنح من خلال عضوية (٤) لجان عليا مرتبطة بقرارات المنح، وعمل مشرفا واامينا للجان المنح على مستوى مناطق المملكة العربية السعودية.

• حائز على ثلاث رخص مهنية في المنح وإدارة الأوقاف والتخطيط.

• كما ساهم في البناء المؤسسي الاستراتيجي والتشغيلي؛ وبناء منظومة عمل المنح وتطوير أصول الوقف في خمس مؤسسات أهلية وأوقاف.

• على المستوى الوطني شارك وترأس عدة لجان متخصصة في المنح المالي وغير المالي منها:

ـ رئيس مجلس الأوقاف بالغرفة التجارية بالخرج.

ـ عضو لجنة المبادرات بالصندوق المجتمعي التابع لوزارة الموارد البشرية والتنمية الاجتماعية والهيئة العامة للأوقاف ومجلس المؤسسات الأهلية.

- عضو لجنة مراجعة لائحة الجمعيات والمؤسسات الأهلية بوزارة الموارد البشرية والتنمية الاجتماعية.
- عضو اللجنة العلمية بمؤتمر الايتام السنوي تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز.
- رئيس مركز أزمة كورونا بمؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية.
- رئيس لجنة تطوير الإجراءات المالية بذات المؤسسة.
- رئيس لجنة المشاريع بذات المؤسسة.

محتويات الكتاب

المقدمة ٥
أهمية الموضوع ٦
أهداف الدراسة ٦

تمهيد

مفهوم العمل الخيري ٩
تعريف العمل ٩
تعريف الخيري ٩
أقسام العمل الخيري ١٥

المبحث الأول
العمل الخيري في الإسلام

مدخل ١٩
مفهوم العمل الخيري في الإسلام ٢٠
مشروعية العمل الخيري في الإسلام ٢١

أولًا: العمل الخيري في القرآن الكريم ٢٢
ثانيًا: العمل الخيري في السنة النبوية ٢٦
نماذج وتطبيقات للعمل الخيري الإسلامي ٣٣
أولًا: في عهد النبي ﷺ ٣٣
ثانيًا: في عهد الصحابة رضي الله عنهم ٤٠
ثالثًا: في الحضارة الإسلامية ٤٤

المبحث الثاني
العمل الخيري في الديانة المسيحية

مدخل ٤٩
مفهوم العمل الخيري في المسيحية ٥١
العمل الخيري في النصوص المسيحية ٥٥
- الاهتمام بالفقراء والتصدق عليهم في الإنجيل ٥٦
- مصطلح الخير في الإنجيل ٥٨

نماذج من العمل الخيري المسيحي ٦١

المبحث الثالث
العمل الخيري في الديانة اليهودية

مدخل ٦٩
مفهوم العمل الخيري في اليهودية ٧٠
العمل الخيري في التعاليم اليهودية ٧٢
نماذج من العمل الخيري اليهودي ٧٦

المبحث الرابع
مقارنة واستنتاج في العمل الخيري بين الديانات الثلاث

مدخل ٨١

طبيعية العمل الخيري في الإسلام والتعاليم المسيحية واليهودية ٨٢

أولًا: من حيث المبادئ ٨٢

ثانيًا: من حيث المجالات ٩٦

مقاصد العمل الخيري في الإسلام والنصرانية واليهودية ١٠٤

أولًا: مقاصد العمل الخيري في الإسلام ١٠٤

ثانيًا: مقاصد العمل الخيري في المسيحية ١١٣

ثالثًا: مقاصد العمل الخيري في اليهودية ١٢٠

واقع العمل الخيري في الأديان الثلاث في العصر الحديث ١٢٢

الخاتمة ١٥٣

المصادر والمراجع ١٥٥

المراجع العربية ١٥٥

المقالات والأبحاث ١٥٩

عن المؤلف ١٦٣

محتويات الكتاب ١٦٥